وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

الحركة الفكرية و العلمية في مصر الأيوبية (567-648هـ / 1171-1250م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر
تخصص : دراسات في تاريخ و حضارات العصر الوسيط

إعداد :
- قيت سيد علي
- بوخاري قدور

إشراف:
أ . سحيري بغداد

موهوبي نور الدين	رئيسا
بخيتي محمد	مناقشا
سحيري بغداد	مشرفا

السنة الجامعية:1436-1437هـ /2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

الحمد لله ثم الشكر يتبعه

والحمد لله عن شكري وعن حمدي

فنحمد الله حمدا كثيرا على توفيقه لنا لإنجاز هذا العمل

كما نتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ الفاضل سحيري بغداد على كل ما قدمه لنا من نصائح وتوجيهات أثناء إنجازنا لهذا البحث، فنسأل الله أن يبارك فيه.

ولا يفوتنا كذلك أن نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا على إتمام هذا العمل.

الإهداء

إلى من جاهدت صبرا، وشغلت البال فكرا، ورفعت الأيادي دعاءا

إلى أمي الغالية حفظها الله ورعاها

إلى الذي كان يضيء

لي الطريق ويساندني

إلى أبي الحبيب حفظه الله

إلى أساتذتي الذين درسوني

إلى كل من علمنـــــــــــي حرفـا

إلى زملائي

أهدي هذا البحث راجيا من الله عز وجل

أن يلقى القبول والنجاح

"قيت سيد علي"

الإهداء

إلى التي منحتني القوة، إلى من علمتني كيف أنجح

إلى من كانت دافعي للاستمرار

إلى أمي التي بها صنعت نجاحي

إلى أمي التي ضحت .. وسهرت .. وربت

إلى الذي كان دائما يوجهني

إلى من بذل في سبيل نجاحي كل شيء

إلى أبي.

إلى إخوتي وخاصة الأستاذة فاطمة.

إلى رفيقة دربي ريم.

إلى أصدقائي صدام، بلال.

بوخاري قدور

قائمة المختصرات

الاختصار	الدلالة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
تع	تعليق
تق	تقديم
مر	مراجعة
ج	الجزء
مج	المجلد
ط	طبعة
د.ط	دون طبعة
د.ن	دون دار نشر
د.ب	دون بلد النشر
د.ت	دون تاريخ النشر
ص	الصفحة
هـ	هجري
م	ميلادي
(...)	كلام محذوف

مقدمة

يعد العلم رمز النجاح وعنوان الفضيلة، منزلته عالية شريفة، لايرتقي سماءه إلا الأمجاد ولا يركب مطيته ولا يجني ثماره إلا الموفقون، ولقد دعت شريعتنا الغراء إلى العلم والتعلم، قال الله تعالى :« **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أولوالألباب**»[1].

وليس في القران كله أمر بالدعاء بطلب الازدياد من شيءإلا من العلم، فقد أمر الله عز وجل رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالاستزادةمن العلم فقال:«**وقل ربي زدني علما**»[2].

ولقد اهتم المسلمون بالعلم في صورة أفراد وجماعات وعظموه وشرفوا به، ومن الدول الإسلامية التياهتمت واعتنت بالعلم والعلماء الدولة الأيوبية،هذه الدولة التي شكلت حلقة مهمة في حلقات التاريخ الإسلامي،واضطلعت بمهام عظيمة جسيمة في حياة الأمة الإسلامية، فقامت في ظل مرحلة حرجة كانت محاطة فيها بمخاطر سياسية وعسكرية، واقترن اسمها بالحروب الصليبيةوصبغت بصراعها مع الفرنجة الصليبيين حتى سقوطها،ولقد أبلت البلاء الحسن في الذود عن ديار الإسلام فكان جهادها ضد الغزاة بالسيف والبيان، واستطاعت أن تحافظ على بلاد المسلمين، وصارت مصر زمن الأيوبيين حصن الإسلام الحصين وقلب المقاومة الإسلامية.

ورغم هذه الصبغة العسكرية التي تميزت بها الدولة الأيوبية إلا أن هذا لميمنع الحكام من الاهتمام بالجوانب الحياتية للدولة،فلقدكان هناك عصر حضاري واسع النطاق شمل جميع الجوانب وعلى رأسها الجانب العلمي والذي دعمه الأيوبيونبشكل كبير وعملوا على تشجيع الأنشطة العلمية، وحرصوا على تعليم كل فئات المجتمع المصري وأدخلوا نظم جديدة في التعليم، مما أدى إلى قيام نهضة علمية كبيرة شملت الآداب والعلوم والفنون وزاد من رقي مصر الحضاري لتكون بذلك في طليعة الحواضر الإسلامية التي عرفت ازدهارا كبيرا في مختلف ضروب العلم و المعرفة.

أسباب اختيار الموضوع:

-الرغبة في دراسة مواضيع ذات طابع علمي، كون الجوانب السياسية والعسكرية أخذت الحيز الأكبر من اهتمام الباحثين بخلاف الجوانب الفكرية والعلمية، التي لم تلقى كثيرامن الاهتمام.

---

[1]-سورة الزمر،الآية9.

[2]-سورة طه،الآية114.

– الرغبة في دراسة تاريخ دولة إسلامية خدمت الإسلام والمسلمين، فكانت الدولة الأيوبية من بين الدول التي تستحق البحث والدراسة في هذا الجانب.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في ما يلي:

_ الاستقاء من منابع الحضارة العربية الإسلامية كون الدولة الأيوبية أبقت على موروث علمي كبير يعطي لنا صورة حية عن مدي الرقي العلمي الذي وصل إليه المسلمون.

_ إعطاء نظرة عامة عن أهم العلوم المتداولة و التعرف على شخصيات وأعلام كبار رفعوا راية العلم في ذلك العصر.

_ كشف اللثام عن حال المجتمع آنذاك ودرجة إقباله على العلم.

_ تمكننا كذالك الدراسة من التعرف على المؤسسات العلمية التي استحدثها الأيوبيون وطبيعة الأنشطة العلمية التي اطلعت بها.

_ التطور السياسي و العسكري للدولة قابله تطور ورقي في الجانب العلمي.

الإشكالية:

من أجل دراسة موضوع الحركة الفكرية والعلمية في مصر الأيوبية (567هـ-648هـ/1171م 1250م) تبادرت إلىأذهانناالإشكالية التالية:

كيف كان واقع الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي؟

وتفرعت عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

-إلىأي مدي واكبت الحياة الفكرية الأحداث السياسية في ذلك العصر؟

-هل كانت الحروب حائلة بين مصر وبين بلوغها ماأرادت من النضج العلمي؟

- ما طبيعة العلوم المتداولة في تلك الفترة؟

-ما مدى مساهمة الأيوبيين في الحياة العلمية في مصر؟

-ما مدى مساهمة المدارس في دعم المذهب السني وتقويض المذهب الشيعي؟

الدراسات السابقة:

تعد الدراسات السابقة التي اهتمت بموضوع الحركة الفكرية والعلمية في مصر الأيوبية قليلة في مجملها فجل الدراسات تحدثت عن تاريخ الدولة الأيوبية في مصر مركزة في ذلك على الجانب السياسي مكتفية بالمقابل بتقديم إشارات خفيفة عن الحياة العلمية، وعن الدراسات التي اهتمتبالحديث عن موضوع الحركة الفكرية في مصر زمن الأيوبيين نجد:

– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصر الأيوبي والمملوكي الأول، والذي تكلم فيه عن البيئات العلمية في مصر آنذاك وذكر أهم العلوم المتداولة في تلك الفترة.

–شوكت عارف الأتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الأيوبي، ويعد من أهم الكتب التي تناولت هذا الموضوع باستفاضة، غير أننا لم نستطع الحصول عليه.

المنهج المتبع في البحث:

وللإجابة عن هذه التساؤلات اعتمدنا في دراستنا للموضوع على المنهج التاريخي الوصفي القائم على سرد الأحداث والوقائع لتوضيح واقع الحركة الفكرية التي كانت في مصر زمن الأيوبيين، تخلله إتباع المنهج الإحصائي خلال الحديث عن تعداد المدارس والأوقاف.

الخطة المعتمدة في البحث:

وفيما يخص خطة البحث فقد قسمناها على النحو التالي:

مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة ومجموعة ملاحق.

المدخل: بعنوان نبذة تاريخية عن الدولة الأيوبية ومن باب إثراء البحث قدمنا فيه تعريف بالدولة الأيوبية ونسب حكامها وابتداء أمرها في مصر ثم استعرضنا تاريخ هذه الدولة والتطورات السياسية التي شهدتها إلى غاية سقوطها سنة(648هـ/1171م)

بعد ذلك انتقلنا للحديث عن الوضع الاقتصادي والاجتماعي للدولة.

المبحث الأول: وقد ذكرنا فيه أهم العوامل المؤثرة على الحركة الفكرية وهي ثلاثة عوامل:

أولاها:شخصية العلماء والتي كان لها دور كبير في دفع النشاط العلمي نحو الازدهار

وثانيها: الصراع المذهبي بين المذهب السني والشيعي والذي يعد من أهم العوامل المشجعة على نشر العلم.

وثالثها: الرحلات العلمية وكيف أثرت على الحركة العلمية.

المبحث الثاني: خصصناه لذكر أهم العلوم المتداولة آنذاك، وفي مقدمتها العلوم الدينية وتليها العلوم اللغوية والاجتماعية ثم العلوم التجريبية.

وجاء الحديث في المبحث الثالث عن المؤسسات التعليمية التي كانت منتشرة في تلك الفترة ومن أبرزها المدارس ثم خلصنا في آخر هذا المبحث للحديث عن الوقف ودوره في نجاح عمل المؤسسات التعليمية

وفي الأخير ذيلنا البحث بخاتمة استخلصنا فيها أهم النتائج المتوصل إليها، ووضعنا كذلك بعض الملاحق من أجل التوضيح.

أهم المصادروالمراجع المعتمدة في البحث:

اعتمدنافي موضوع دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

- مصادر مختصة بتاريخ الدولة الأيوبية مثل:كتاب مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لجمال الدين ابن واصل(ت /697هـ) في جزءه الأول، والذي تناول التاريخ السياسي للدولة الأيوبية ونفس الحال ينطبق على كتاب الروضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة المقدسي (ت/665هـ).

- كتب التراجم والطبقات مثل كتاب سير أعلام النبلاء لشمس الدين الذهبي (ت /748هـ)، والذي أفادنا كثيرا في الترجمة لشخصيات ذلك العصر بالإضافةإلى كتاب شذرات الذهب في أخبارمن ذهب لابن العماد (ت /1089هـ)، وكتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين السيوطي (ت/911هـ) الذي قدم لنا معلومات قيمة عن العلماء الذين دخلوا مصر آنذاك.

بالإضافةإلى كتب الطبقات مثل: كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبيأصبيعة (ت/668هـ)، وكذلك طبقات المفسرين لشمس الدين الداووري(ت/945هـ)وغيرهم.

-كتب الرحلات مثل: رحلة ابن جبير (ت/ 614هـ) ورحلة البغدادي (ت /629هـ) في كتابه الإفادة والاعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر زمن الأيوبيين.

- كتب التاريخ العام مثل: كتاب البداية والنهاية لابن كثير (ت /774هـ)، وكتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير(ت/630هـ).

المراجع:

هناك مجموعة من المراجع التي اعتمدنا عليها في هذا البحث أهمها:

-كتاب الأيوبيونوالمماليك في مصر والشام لعبد الفتاح عاشور، حيث تناول تاريخ الأيوبيين ومختلف الجوانب الحياتية لدولتهم في مصر والشام.

-كتاب المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني لأيمن شاهين سلام، الذي مكننا من معرفة تاريخ نشأة المدارس وتعدادها بمصر.

الصعوبات:

وقد واجهتنا في بحثنا هذا عدة صعوبات -وأي بحث يخلو من ذلك- وعلىرأس تلك الصعوبات، ضيق الوقت فقدكنا نسابق الزمن من أجل إتمام هذه الدراسة.

-كما يعتبر الترابط الكبير بين الشام ومصر من معيقات البحث وذلك بحكم التواصل الكبير الذي كان بينهما،وهو ما لزم منا استعمال جهدكبير من اجل استقاء المعلومات الخاصة بمصر فقط حتى لا نخرج عن موضوع البحث.

-إضافةإلىأننا لم نستطع الحصول على بعض الكتب والتي كانت ستفيدنا كثيرا في البحث.

وبما أننا نبحث في موضوع الحركة الفكرية والعلمية في مصر الأيوبية، نسوق قول عبد الرحيم البيساني المعروف بالقاضي الفاضلوالذيقال :إني رأيت أنه لايكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

وفيالأخيرنحمداللهأنوفقنالهذاالعملونسألهأنيجعلهذاالعملخالصالوجههالكريم وأن ينفعبهطلابالعلم خاصة والمسلمين عامة.

مدخل

نبذة تاريخية عن الدولة الأيوبية

1- نشأة الدولة الأيوبية

2- الأوضاع السياسية

3- الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية

1 – نشأة الدولة الأيوبية:

ينتسب الأيوبيون إلى أيو ب[1] بن شاذي [2] بن مروان بن يعقوب [3]، وأصلهم من الأكراد الروادية[4]، أحد بطون الهذبانية [5]، وكانوا مقيمين ببلدة دوين آخر حدود بلاد أذربيجان مما يلي الروم[6].

كان لشاذي ولدان أكبرهما أيوب ثم شيركوه، قدم بهما أبوهما إلى العراق، وكان حاكمها آنذاك بهروز[7]، فدخل الأخوان في خدمة بهروز الذي استحفظ فيما بعد أيوب على تكريت[8]، وكان ذلك سببا لحدوث أول اتصال بين الأيوبيين والزنكيين، ففي سنة (526هـ) وعندما انهزم عماد الدين زنكي [9] أمام السلاجقة، التجأ إلى تكريت، فساعده أيوب على عبور نهر دجل ة هذا الصنيع الذي أسداه الأيوبيون لعماد الدين أكسبهم احتراما وتقديرا عنده، ويظهر ذلك عندما قتل شيركوه رجلا، فقام بهروز بإخراج أيوب وأخيه من تكريت[10]، فلحقا بالموصل عند عماد الدين فأحسن استقبالهما وجعل أيوب حاكما على بعلبك بعد تحريرها من الصليبيين سنة(533هـ/1139م)[11].

---

[1] – نجم الدين أيوب بن شاذي الدُّويني، والد صلاح الدين، ولي نيابة بعلبك للأتابك زنكي، كان من أعيان أمراء دمشق، دخل القاهرة بعدما سيطر عليها الأيوبيون، ت(568هـ)؛ أنظر: شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، (ت /748هـ)، سير أعلام النبلاء تح، تع: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، ج 20، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص589.

[2] – قال ابن خلكان:« هناك من يذكر بعد شاذي مروان ولقد تتبعت نسبهم كثيرا ووقفت على كتب كثيرة بأوقافهم وأملاكهم فلم أرى سوى أيوب وشيركوه بن شاذي ». أنظر: ابن خلكان (ت /681هـ)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس،مج7 دار صادر، د.ط، بيروت، د.ت ص140.

[3] – المرتضى الزبيدي، ترويج القلوب في ذكر الملوك بني أيوب، تح: صلاح الدين المنجد، ط2، دار الكتاب الجديد، بيروت 1983، ص35.

[4] – الحسن علي بن أبي الطرح بن عبد الواحد الجزري بن الأثير، (ت /630هـ)، الكامل في التاريخ، مر: محمد يوسف الدقاق مج10، ط4، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003، ص16.

[5] – أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، (ت /845هـ)، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ج 1 ط1، منشورات محمد علي بيوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص149.

[6] – أبو شامة شهاب الدين ين إسماعيل المقدسي (ت/665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تع: إبراهيم شمس الدين، ج1، ط1 دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص354.

[7] – مجاهد الدين بهروز بن عبد الله مولى السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه، حكم العراق نيفاً وثلاثين سنة، (ت /540هـ) ببغداد؛ أنظر: وفيات الأعيان، مج7، ص142.

[8] – المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص149.

بعد موت عماد الدين سنة(541هـ) أخذ المشعل ابنه نور الدين محمود [1]، والذي سار على خطى والده بالسعي إلى توحيد الإمارات الإسلامية المتناثرة في بلاد الشام وإيجاد قوة إسلامية مشتركة تواجه الخطر الصليبي [2]، فتحقق له ما أراد من خلال ضمه لبلاد الشام، إضافة إلى ما كان له في العراق وبذلك وجدت جبهة إسلامية متحدة غرس بذورها عماد الدين ورعاها ابنه نور الدين محمود[3].

بالمقابل لم تكن أوضاع مصر في هذه الفترة على ما يرام، ذلك أن الدولة العبيدية [4] الفاطمية[5]، حاملة لواء الشيعة الإسماعيلية [6] بمصر، قد شهدت أواخر أيامها حالة من الضعف والإنحلال جعلها عاجزة عن الاحتفاظ بكيانها، فضلا عن حماية نفوذها بالمشرق والمغرب [7]، ومرد ذلك كله إلى الفوضى وسوء التسيير الذي مس أنظمة الحكم في الدولة من خلال تعيين حكام صغار وضعفاء يقومون على تسيير شؤون الدولة مثلما حدث مع الفائز بنصر الله الذي ولي الحكم وعمره خمس سنوات[8].

=[9] – عماد الدين زنكي بن الحاجب أقسنقر، كان أتابكا على الموصل لإبن محمود بن ملكشاه سنة 532هـ، ثم استولى على البلاد وعظم أمره، أراد إعادة لم شمل المسلمين لمواجهة الخطر الصليبي، فكانت له انتصارات عديدة على الإفرنج (ت/541هـ) أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج20، ص189.

[10] – المقريزي، المصدر نفسه، ج1، ص149.

[11] – حازم فارس علي أبو شارب، فن السيرة في الأدب الأيوبي (كتاب الاعتبار أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها، إشراف: سعود محمود عبد الجابر، كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، 2011/2010، ص14.

[1] – محمود بن عماد الدين، هازم النصارى وناصر الدين، ولد سنة(510هـ) بحلب، قال عنه ابن الأثير:« طالعت سير الملوك المتقدمين فلم أرى فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز أحسن من سيرته ولا أكثر تحريا للعدل منه »، (ت/569هـ) أنظر: ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص56.

[2] – حازم فارس علي أبو شارب، المرجع السابق، ص14.

[3] – أحمد الشامي، صلاح الدين والصليبيون (تاريخ الدولة الأيوبية)، ط1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1991، ص56.

[4] – نسبة إلى عبيد الله الملقب بالمهدي، ولد سنة(259هـ) بالكوفة، وهو أول حاكم للفاطميين بالمغرب، وكانت بيعته بالقيروان سنة 297هـ/910م (ت/322هـ)، انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج،3، ص117.

وهذا أدى إلى ازدياد نفوذ الوزراء على حساب حكامهم، وأصبحت مقاليد السلطة بأيدي وزراء سيطروا على الحكم سيطرة تامة، ويصور لنا ابن الأثير وضع مصر في هذه الفترة فيقول: « **وكانت الوزارة في مصر لمن غلب، والخلفاء من وراء الحجاب كالمتملكين** »[1]، استمر الوضع إلى آخر حاكم للعبيديين وهو العاضد الذي تولى الحكم وهو لم يبلغ سن الرشد بعد والذي ولاه هو الوزير طلائع بن رزيك ليكون أداة في يده [2]، بحيث أصبح كالمحجور عليه لا يتصرف في كل مايريد[3].

ومزامنة مع هذه الانقسامات الداخلية كانت هناك تطورات خارجية تمثلت في ظهور الخطر الصليبي منذ أواخر ق(5هـ)، والذي استطاع التوغل في البلاد العربية والاستحواذ على بعض الأقاليم فيها، على غرار ما فعله في بلاد الشام، واحتلاله بيت المقدس سنة(494هـ)، والتي كانت بأيدي الفاطميين[4]، وبذلك اقترب الصليبيون من الديار المصرية، وأصبح أمر سقوط مصر بأيدي الفرنج

=[5]– إن تسمية تلك الدولة بالفاطمية تسمية كاذبة أراد بها أصحابها خداع المسلمين، يقول ابن خلكان: « وأهل العلم بالأنساب من المحققين ينكرون دعواه في النسب »؛ أنظر: ابن خلكان، المصدر نفسه، مج3، ص118.

قال الإمام السيوطي: « ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لأن إمامتهم غير صحيحة، وإنما يسميهم بالفاطميين جهلة العوام وإلا فجدهم مجوسي »؛ أنظر: السيوطي (ت /911هـ)، تاريخ الخلفـاء، دار المنهاج للنشر والتوزيع، ط 2، بـيروت ، 2013 ص66.

[6]– الإسماعيلية: من أكبر فرق الشيعة، انفصلت عن الإثنى عشرية في الإمام السادس جعفر الصادق، يقول البغدادي: « وهؤلاء ساقوا الإمامة بعد جعفر الصادق لابنه إسماعيل »؛ أنظر: عبد القادر بن طاهر البغدادي (ت /429هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم (عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها)، تح: محمد عثمان الخشن، د.ط، مكتبة ابن سينا، القاهرة د.ت، ص62.

[7]– محمود الحويري، مصر في العصور الوسطى(دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية)،ط 1، عين للدراسات والبحوث الإجتماعية والإنسانية، د.ب 1996، ص157.

[8]– سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، موسوعة تاريخ مصر عبر العصور(تاريخ مصر الإسلامية)، أعدها للنشر عبد العظيم رمضان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993، ص292.

[1]– ابن الأثير، المصدر السابق، مج9، ص389.

[2]– أحمد أحمد بدوي، صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره، د.ط، دار القلم، القاهرة، 1960، ص5.

[3]– جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بن بردي الأتابكي (ت/ 874هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تق، تع: محمد حسين شمس الدين، ج5، ط1،دار الكتب العلمية، بيروت، 1992، ص329.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1972، ص9.

مسألة وقت فقط، فقد تطلع ملك بيت المقدس لغزو مصر أكثر من أي وقت مضى، حيث قام بحملة باتجاه مصر سنة(558هـ)، إلا أنها فشلت[1] بعد أن تصدى لها ضرغام الذي خرج على شاور وانتزع منه الوزارة، فما كان من هذا الأخير إلا اللجوء نور الدين زنكي يستنصره على خصمه [2] ويعده بأن يبقى الجيش النوري مقيما بمصر [3]، فزع نور الدين من اقتراب الصليبيين من مصر، كما رأى بأن الدولة العبيدية في مصر كانت مصدرا من مصادر الفرقة في العالم الإسلامي لأنها جعلت ولاء المسلمين في الشرق الأدنى تتقاسمه خلافتان ومذهبان، لذا كان من الطبيعي أن يتجه إلى التفكير في القضاء على العبيديين في مصر، فبادر بإرسال عساكره إلى مصر[4].

وكنا قد أشرنا سابقا إلى العلاقة الطيبة التي جمعت الأيوبيين بعماد الدين والتي استمرت حتى بعد وفاته، ذلك أن ابنه محمود قد قرب إليه شيركوه لما رأى منه ما يعجبه، وصار أعظم أمرائه وقائدا لجيشه، وما كان منه إلا أن أرسله على رأس الجيش المتوجه إلى مصر، وفي هذا يقول ابن كثير:« **فلما أراد أن يرسل العساكر إلى مصر لم ير لهذا الأمر العظيم غيره، فأرسله** »[5]، وبذلك نفذ نور الدين حملته الأولى إلى مصر بقيادة شيركوه سنة(559هـ)، وبصحبته ابن أخيه الشاب صلاح الدين الأيوبي[6].

---

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص12.

[2] – جمال الدين محمد بن واصل (ت/697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، ج1، د.ط، د.د.ن، د.ب، د.ت ص137.

[3] – أحمد بدوي، المرجع نفسه، ص7.

[4] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص ص12، 14.

[5] – ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص13.

[6] – الملك الناصر صلاح الدين أبو المظفر يوسف بن أيوب الدُّويني الأصل، التكريتي المولد، صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والفراتية، ولد سنة(532هـ)بقلعة تكريت، نشأ يوسف نشأة اسلامية فحفظ القرآن وسمع الحديث وحدّث به، حظي بمكانة رفيعة عند نور الدين زنكي، استطاع ارجاع مصر لكنف العباسيين، وهو أول حاكم للأيوبيين بمصر، غزا الفرنج وكسرهم مرات واشتهر بفتوحاته الكثيرة فقد قيل أنه فتح ستين حصنا، قال صاحب شذرات الذهب: « لو عاش لفتح الدنيا شرقا وغربا وبعدا وقربا »، (ت 589هـ)؛ أنظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج 7، ص139؛ الذهبي، المصدر السابق، ج 21، ص279 أبو الفلاح شهاب الدين بن أحمد بن العماد الدمشقي(ت /1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، مج 6، ط1،دار ابن كثير، بيروت، 1986، ص490؛ أبو نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771هـ)، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح محمد الحلو، ج 7، مطبعة فيصل عيسى البابي الحلبي، ط1،دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، 1964، ص339.

لينجح الجيش النوري في دخول القاهرة وقتل ضرغام وإعادة الوزارة لشاور [1]، هذا الأخير الذي لم يلتزم بوعوده وحاك مؤامرات ضد عساكر الزنكي ونجح في إخراجهم من مصر[2].

بعد ذلك وفي سنة(562هـ) جاءت الحملة الثانية للزنكيين على مصر، وذلك بعدما طالب العاضد نور الدين التدخل لوضع حد لإستبداد شاور وظلمه، إلا أنها لم تنجح بعد أن استنجد شاور بالصليبيين[3].

لتأتي الحملة الثالثة والأخيرة سنة(564هـ)، وذلك بعد أن تمكن الفرنج من البلاد المصرية فأرسل العاضد إلى نور الدين يستغيث به [4]، وبعث له إلى جانب الكتب التي أرسلها شعرات من رؤوس النساء وقال:« هذه شعرات نسائي من قصري يستغثن بك لتنقذهن من الفرنج »، فشرع نور الدين محمود في تسيير الجيوش[5]، ولم يجد قائد عساكره شيركوه في دخول مصر هذه المرة أي صعوبة تذكر بعد أن رحل عنها الإفرنج، وقد فرح أهل مصر بشيركوه، واستقبلوه استقبال البطل وخلع عليه العاضد خلعة الوزارة[6]، ليقوم بعدها صلاح الدين بالقبض على شاور المتلاعب وقتله [7] غير أن أسد الدين شيركوه لم يطل به الأمر وزيرا للعاضد فقد مات بعد حوالي شهرين من تعيينه سنة(564هـ/1168م)[8].

---

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص12.

[2] – جمال الدين محمد بن واصل (ت /697هـ)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تح: جمال الدين الشيال، ج 1، د.ط، د.ن، د.ب، د.ت ص137.

[3] – أبو شامة، المصدر السابق، ج2، ص7؛ سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق ص296.

[4] – بهاء الدين ابن شداد (ت /632هـ)، سيرة صلاح الدين الأيوبي(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)، د.ط، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، 1317هـ، ص256.

[5] – ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص13.

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص18.

[7] – قاسم عبد شاه وعلي السيد علي، الأيوبيون والمماليك(التاريخ السياسي والعسكري)، د.ط، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية د.ب، د.ت، ص27.

[8]–ابن الأثير، المصدر نفسه، مج10، ص16.

أ/ صلاح الدين وزيرا للعاضد(564هـ/1168م):

لما مات شيركوه أخلع العاضد على صلاح الدين خلعة الوزارة[1]، رغم أن جيش شيركوه يضم جماعة من أكابر الأمراء، وذلك لظنه أن صغر سن صلاح الدين وعدم خبرته سيجعله أداة في يده[2] إلا أن ظن العاضد خاب، فصلاح الدين قد أبدى من الفطنة والذكاء ما خوله لتسيير أمور الوزارة على النهج الذي يريده، حيث استمال قلوب الناس وبذل فيهم الأموال حتى أحبوه وأطاعوه، وهنا يذكر ابن واصل حال صلاح الدين في الوزارة، فيقول: « **فمال إليه الناس وأحبوه، وقويت نفسه على القيام بهذا الأمر والثبات فيه وضعف أمر العاضد** »[3]، ومن جهة أخرى يذكر ابن تغري بردي حال العاضد فيقول: « **ولم يكن له مع صلاح الدين إلا مجرد الاسم فقط** »[4]، وبعد أن نجح صلاح الدين في استمالة قلوب العباد، قام بأعمال تعتبر في حقيقتها تمهيدا للقضاء على دولة العبيديين، من ذلك: عزل قضاة مصر الشيعة، وقطع نداء حي على خير العمل من الأذان، كما ذكر اسم نور الدين في الخطبة بعد اسم العاضد[5]، والملاحظ من ذلك أن هذه الأعمال التي قام بها صلاح الدين بوصفه نائبا عن نور الدين، لا بوصفه وزيرا للعاضد[6].

إن هذه الأعمال التي قام بها صلاح الدين جعلته مستهدفا من قبل حاشية الحاكم الذين لم يتقبلوا سيطرة صلاح الدين على مقاليد الحكم، فقد تعرض لمؤامرة من طرف مؤتمن الحاكم، وكذا ثورةالجند السودانيين عليه [7]، إلى جانب التحرش الصليبي على مصر، بحيث قادوا حملة على مصر سنة(565هـ/1169م)، إلا أن كل المؤامرات التي أحيكت ضد صلاح الدين سواء كانت داخلية أو خارجية باءت بالفشل[8].

---

[1] – محمد بن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، ج 1، د.ط، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة د.ت، ص233.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص19.

[3] – ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص174.

[4] – ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج5، ص362.

[5] – علي محمد الصلابي، الدولة الفاطمية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006، ص139.

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص20.

[7] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص20؛ ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص20.

[8] – ابن شداد، المصدر السابق، ص262.

ب/ سقوط الدولة العبيدية:

بعد أن تمت سيطرة الجيش النوري على مصر بقيادة صلاح الدين، أرسل نور الدين إلى قائد جيشه، يقول له:« **اقطع الخطبة عن العاضد من مصر وأعمالها واخطب باسم المستضيء بالله العباسي خليفة بغداد** »[1]، فراجعه صلاح الدين في هذا الأمر لأنه كان يريد التريث، إلا أن نور الدين كان مصرا على ذلك، فأمر صلاح الدين الخطباء بأن يخطبوا للمستضيء وكان العاضد قد مات بعدها بأيام قليلة[2]، وتم هذا الأمر دون أي مقاومة، وفي ذلك يقول ابن الأثير: « **فلم ينتطح فيها عنزان** »، وكان ذلك سنة(567هـ)[3]، وبذلك صارت مصر تابعة للخلافة العباسية تبعية اسمية[4]، وقام الخليفة العباسي بإرسال الخلع إلى نور الدين وصلاح الدين [5] الذي ظل يحكم مصر باسم سيده نور الدين إلى غاية وفاة هذا الأخير سنة(569هـ/1174م)، فبويع ابنه الصالح إسماعيل وعمره لم يتجاوز إحدى عشرة سنة بحيث لم يقدر على السيطرة والتحكم في تركة أبيه واضطربت عليه الأوضاع في الشام، فما كان من أولي البصيرة إلا دعوة صلاح الدين حتى يعيد الأمور إلى سابق عهدها[6]، خاصة وأنه كان حريص على وحدة المسلمين، حيث كان يقول: « **إنا لا نؤثر للإسلام وأهله إلا ما جمع شملهم وألف كلمتهم** »[7]، وقد استطاع صلاح الدين أن يخلف نور الدين محمود في الحكم و يعيد توحيد المسلمين من جديد، وبذلك تأسست الدولة الأيوبية سنة(567هـ) والتي استطاعت في فترة وجيزة أن تمد نفوذها على مناطق واسعة من البلاد العربية [8]، وكانت كل من الشام ومصر والجزيرة واليمن تحت سلطة الأيوبيين[9].

---

[1] – ابن إياس الحنفي، المصدر السابق، ج1، ص234.

[2] – ابن شداد، المصدر نفسه، ص364.

[3] – ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص34.

[4] – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي، ج 4، ط14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1996، ص307.

[5] – ابن الأثير، المصدر نفسه، ج10، ص35.

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص48.

[7] – ابن واصل، المصدر السابق، ج2، ص18.

[8] – أنظر: الملحق 1، ص 101.

[9] – سلطان عبد الرؤوف الحريري، أدب الرسائل في العصر الأيوبي(القاضي الفاضل أنموذجا)، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف علي أبو زيد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق، د.ت، ص13.

2 – الأوضاع السياسية للدولة الأيوبية:

لما استقر الأمر لصلاح الدين وتوحد المسلمون على يده، صرف ذهنه إلى مواجهة الصليبيين فقام بسلسلة من التحصينات حيث بنى الأسوار والقلاع وحصن الثغور والموانئ، وقام ببناء الأبراج لأن الصليبيين كانوا يتحينون الفرص لمهاجمة البلاد الإسلامية[1].

غير أن صلاح الدين نجح في حماية المدن الإسلامية من غزو الفرنج، بل زاد على ذلك حين قام بمواجهة معاقل الصليبيين ومدنهم التي أقاموها في الشام، وكان أعظم نصر حققه الأيوبيون زمن صلاح الدين سنة(583هـ)، في موقعة حطين أين كسر شوكة الفرنج، ويعتبر هذا النصر فاتحة لانتصارات وفتوحات أخرى من بينها فتح بيت المقدس وفي هذا يقول ابن كثير: « **كانت وقعة حطين أمارة ومقدمة وبشارة لفتح بيت المقدس على المؤمنين** »[2]، لتتوالى فتوحات المسلمين بعدها حيث تم فتح طبرية، عكا، نابلس الرملة، يافا، بيروت، وعسقلان [3]، وعن هذا يقول ابن كثير: «**افتتح صلاح الدين بالشام فتحا مبينا ورُزق نصرا متينا وهزم الفرنج وأسر ملوكهم** »[4].

ليأتي بعدها فتح بيت المقدس سنة(583هـ)، وتم الدعاء للخليفة العباسي في أول جمعة أقيمت بالمسجد الأقصى في الرابع من شعبان من نفس السنة، وفي هذا يقول الأصفهاني: « **وطوبى لمن عاش حتى حضر هذا اليوم الذي فيه انتعش الإسلام وارتاش** »[5]،وهكذا كانت الأوضاع السياسية للدولة الأيوبية زمن صلاح الدين، فلا نزاعات داخلية حول الحكم ولا ثورات تهدد استقرار الدولة، وإنما رفع الأيوبيون راية الجهاد ضد الصليبيين، واستطاعوا إجلاءهم عن جزء كبير من أراضي الشام، وبعدها توفي صلاح الدين سنة(589هـ)، وعمره سبع وخمسون سنة، ومدة ملكه للديار المصرية نحو 24سنة[6].

---

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص 42، 44.

[2] – عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ابن كثير (ت 774هـ)، البداية والنهاية، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي،مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ج16، ط1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة، 1998، ص579.

[3] – حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص106.

[4] ابن كثير، المصدر السابق، ج16، ص452.

[5] – أبو عبد الله محمد بن حامد الأصفهاني ت(597هـ)، الفتح القسي في الفتح القدسي، د.ط، دار المنار،د.ب، د.ت، ص78.

[6] – ابن شداد، المصدر السابق، ص ص 308، 309.

الدولة الأيوبية بعد صلاح الدين:

اضطربت أمور الدولة بعد موت صلاح الدين، ونشبت حرب الوراثة داخل البيت الأيوبي ودخل أبناء صلاح الدين في نزاعات فيما بينهم، وصلت إلى حد القتال، وقسمت الدولة بعد ذلك فاحتفظ العزيز عثمان بمصر، وأخذ الأفضل وهو الابن الأكبر لصلاح الدين دمشق ، وأخذ أخ صلاح الدين الملك العادل الأردن والكرك، وقسمت الأقاليم الأخرى على هذا النحو [1]، رغم أن صلاح الدين كان قد أعد ابنه الأفضل لأن يلي زعامة الدولة، إلا أنه كان سيء السيرة، يقول المقريزي:« **وأقبل الأفضل على اللعب ليله ونهاره، وفوض الأمور إلى وزيره** »[2]، فتحالف العزيز مع عمه العادل وقاما بإخراج الأفضل من دمشق سنة(592هـ)، وأخذها العادل وعاد العزيز إلى مصر ليصبح حاكم الأيوبيين إلى غاية وفاته سنة(595هـ)[3]، ليدخل الأيوبيون مرة ثانية في نزاعات حول الحكم، حيث ثار الأفضل مع أخيه الظاهر غازي صاحب حلب على عمهما العادل، إلا أن هذا الأخير ألحق بهما هزيمة جعلت منه حاكما للأيوبيين، لتتوحد الدولة الأيوبية مرة أخرى تحت حكمه سنة(596هـ)[4].

إن الأوضاع السيئة التي عرفتها الدولة الأيوبية بعد موت صلاح الدين جعلت الصليبيين يتجرؤون عليها، فقد وجهوا حملة باتجاه مصر سنة(616هـ)، استطاعوا من خلالها غزو دمياط ويقال أن العادل مات حزنا على ضياعها، وأوصى ابنه الكامل باستردادها[5].

عمد الكامل وهو سادس الملوك الأيوبيين إلى الاستعانة بأخويه المعظم عيسى صاحب دمشق والملك الأشرف موسى صاحب ديار الجزيرة وأرمينية من أجل استرداد دمياط، فقاموا بمهاجمة الصليبيين سنة(618هـ/1221م)، واستطاعوا هزم الصليبيين وإجلائهم عن مصر [6] ، إلا أن هذا الاجتماع لم يدم طويلا، فقد عاد الأيوبيون إلى ما تعودوا عليه سابقا من النزاعات والقتال فيما بينهم وكل هذا مرده إلى حب التسلط، وهذا ما أدى إلى ضعف الدولة، ولا أدل على ذلك من تنـــــازل

---

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ص 61، 62.

[2] – المقريزي، المصدر السابق، ج1، ص233.

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص66.

[4] – المقريزي، المصدر نفسه، ص264.

[5] – حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ص109.

[6] – ابن الأثير، المصدر السابق، ج10، ص ص387، 379.

الكامل سنة(626هـ/1229م) للصليبيين عن بيت المقدس [1] بموجب اتفاقية عقدت بينهما، وقد أصاب المسلمين من جراء ذلك ألم كبير، وهاهو المقريزي يصور لنا حال المسلمين لفقد القدس فيقول:« **وبعث السلطان، فنودي بالقدس بخروج المسلمين منه وتسليمه إلى الفرنج، فاشتد البكاء وعظم الصراخ والعويل .. فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء واشتد الإنكار على الملك الكامل** »[2]، وفي سنة(635هـ/1238م)، توفي الكامل، وكانت وفاته نذيرا بتفكك الدولة الأيوبية وانهيارها[3]، فقد تم بعده إعلان العادل الثاني سلطانا على مصر، غير أن أمراءه من المماليك لم يمهلوه سوى سنتين وقاموا بخلعه [4]، واستدعاء الصالح أيوب إلى مصر لتولي الحكم، فقدم الصالح أيوب إلى مصر، وقام بسجن أخيه العادل الثاني، وتولى الحكم مكانه، وذلك سنة(637هـ/1240م)[5].

استمرت أوضاع الأيوبيين في التدهور، وحدث هذه المرة أن قام حلف بالشام ضد الصالح أيوب ولم يقتصر الأمر على هذا، بل قام أصحاب هذا الحلف بالاستعانة بالصليبيين، غير أن الصالح أيوب تمكن من هزيمة هذا الحلف، وذلك بمساعدة الخوارزميين [6]، وعلى إثر هذا الانتصار، قام الصالح أيوب بمهاجمة بيت المقدس واستعادتها من الفرنج [7]، إلا أن الصليبيين شنوا حملة على مصر لاستعادة بيت المقدس، فاستولوا على دمياط [8]، وبدءوا زحفهم على القاهرة، وصادف ذلك موت الصالح أيوب سنة(647هـ/1249م)[9]، فقامت شجر الدر زوجة الصالح أيوب بإخفاء الخبر، وأرسلت إلى ابن زوجها توران شاه لتولي شؤون الدولة، فقدم إلى مصر، واستطاع الأيوبيون دحر الصليبيين وهزيمتهم في موقعة المنصورة سنة(647هـ/1250م)[10]، إلا أن المماليك لم يقبلوا بتوران شاه حاكمـــا

---

[1] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص91.

[2] – المقريزي، المصدر السابق، ص354.

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص97.

[4] – محمد سهيل طقوش، تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة، ط2، دار النفائس، بيروت، 2008، ص357.

[5] – شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري (ت 733هـ)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تع: مفيد قميحة، ج29، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2004م، ص174.

[6] – محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص359.

[7] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع السابق، ص106.

[8] – محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص382.

[9] – سعيد عبد الفتاح عاشور، المرجع نفسه، ص116.

عليهم، فقتلوه في سنة(647هـ/1250م)، لتنتهي بذلك دولة الأيوبيين التي دامت إحدى وثمانين سنة، تعاقب عليها ثمانية حكام[1].

=[10]- أحمد الشامي، المرجع السابق، ص ص249، 250.

[1]- أحمد الشامي، المرجع السابق، ص ص252، 253.

3 – الأوضاع الإقتصادية والاجتماعية:

أ/ الأوضاع الإقتصادية:

1- الزراعة:

اعتمدت الحياة الاقتصادية في مصر طوال العصور على الزراعة بشكل أساسي، والتي كانت مرتبطة بنهر النيل، وتتأثر بانخفاض وارتفاع مستواه[1]، ولأجل ذلك استخدم المصريون وحدات لقياس النيل، ومدى ارتفاع وانخفاض مستواه [2]، لذلك شهدت مصر أزمات اقتصادية، ومنيت بالعديد من المجاعات بسبب نقص النيل [3]، كانت أشدها تلك التي تعرضت لها أيام السلطان العادل سنة(597هـ/1201م)[4]، إذ يروي المؤرخ ابن تغري بردي فيقول: « **كان هبوط النيل .. واشتد الغلاء والوباء بمصر، فهرب الناس إلى المغرب والحجاز واليمن والشام، وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق** »[5].

اعتنى الأيوبيون بالزارعة، فقد عهد صلاح الدين إلى الأمير قراقوش الأسدي بالعناية بأمر القناطر والجسور[6]، ويذكر المقريزي أن السنة الزراعية في مصر قد انقسمت إلى قسمين هما: فصلا الزراعة الشتوية والصيفية، حيث تنوعت المحاصيل وكثرت، واهتم الفلاحون بالمحاصيل التي يعتمد عليها السكان في غذائهم وبعض المحاصيل التي لها دور في الصناعة مثل: القطن، الكتان، وقصب السكر[7].

---

[1] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق، ص373.

[2] – المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية)، تح: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، ج 1، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998، ص177.

[3] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول، ط 1، دار الفكر العربي، د.ب، د.ت ص62.

[4] – المقريزي، إغاثة الأمة بكشف الغمة، تح: كرم حلمي فرحات، ط 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية د.ب 2007، ص24-40.

[5] – أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدواداري، كنز الدرر وجامع الغرر(الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)، تح: سعيد عبد الفتاح عاشور، ج7، د.ن القاهرة، 1973، ص148.

[6] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع نفسه، ص374.

[7] – صبحي عبد المنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين(31هـ-648هـ)، د.ط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت، ص ص181، 183.

لقد كان للزراعة في مصر أثر واضح في رخص الأسعار وكثرة السلع، مما أحدث رواجا اقتصاديا وانتعاشا في حياة السكان، باستثناء الفترات التي حدثت فيها أزمات اقتصادية نتيجة القحط والجفاف الذي كان يضرب مصر نتيجة انخفاض مستوى نهر النيل[1].

عرفت مصر زمن الأيوبيين الإقطاع الحربي الذي كان مطبقا عند السلاجقة ولم يتخذ هذا الإقطاع صفة وراثية، وإنما للمقطع أن يتمتع بملكية الأرض المخصصة له طالما هو يؤدي الخدمة العسكرية المتفق عليها في شروط الإقطاع [2]،وهذا ما قام به صلاح الدين سنة(577هـ/1181م) ثم سنة (581هـ/1185م)، بإقطاع البلاد على الأجناد، وظل النظام الإقطاعي سائدا في مصر حتى نهاية العصر الأيوبي، إلا أن انتشار الإقطاع أدى إلى سوء حال الفلاحين، إلى أن قامت الدولة بوضع نظام لحماية الفلاحين من تعسف الإقطاعيين، فمثلا كان التوقيع الخاص بالإقطاع يشترط على المقطع بضرورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانعكست هذه الإجراءات على الفلاحين ايجابا[3].

2- الصناعة:

أسهمت الصناعة أيضا في الاقتصاد المصري، والتي قامت غالبا على المواد الأولية التي تنتجها البلاد [4]، حيث تعددت الصناعات واعتمدت على المواد الخام الزراعية، واعتمد البعض الآخر على المعادن، ومن هذه الصناعات، صناعة المنسوجات[5] الكتانية والحريرية والقطنية والصوفية، عرفت هذه الصناعات رواجا كبيرا، وكانت أهم مراكز الصناعة: الفسطاط وتنيس ودمياط والبهنسا وأخميم هذا فضلا عن صناعة الزجاج والتحف المعدنية وصناعة واستخراج زيوت السمسم، وصناعة الصابون خاصة في قفط، أما السكر فكانت مصر تنتج منه كميات وفيرة يستهلك بعضها داخـــــــل البلاد

---

[1] – صبحي عبد المنعم، ، ص ص183، 191.

[2] – أبي العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، د.ط، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1914، ص50.

[3] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك في مصر والشام، د.ط، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996، ص ص 148 .149

[4] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص64.

[5] – صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص211.

ويصدر البعض الآخر[1]، كما عرفت صناعة السفن التي كانت مزدهرة أيام الفاطميين، ومع أيامهم الأخيرة ضعف أسطولهم، وبمجيء صلاح الدين اعتني بالأسطول وأفرد له ديوانا سمي بديوان الأسطول' ولم تقتصر صناعة السفن على النشاط الحربي وحسب، بل نشطت صناعة المراكب لأغراض النقل والتجارة[2].

3- التجارة:

ساهمت هي الأخرى في النشاط الاقتصادي، وكانت على نوعين: داخلية وخارجية [3]، أما التجارة الخارجية فقد شهدت نشاطا ملحوظا في عصر الأيوبيين، ذلك أن قيام نور الدين محمود بتوحيد مصر والشام تحت حكمه ترتب عليه ازدياد حجم التبادل التجاري بين الجانبين [4]، كما اسهمت الحروب الصليبية بشكل واضح في تنشيط التبادل التجاري بين الشرق والغرب، وخاصة وأن القوى البحرية وعلى رأسها البندقية وجنوة وبيزة رأت في الانفتاح الذي أتاحته الحروب الصليبية فرصة لتدعيم نشاطها التجاري مع البلدان العربية، ففي الفترات التي كان يتوقف فيها القتال حدثت اتصالات حضارية ومعاملات اقتصادية، وقد عبر صلاح الدين عن هذه الحقيقة في إحدى رسائله التي جاء فيها: « **ومن هؤلاء الجيوش البنادقة والبيازنة والجنوية، كل هؤلاء تارة يكونون غزاة لا تطاق ضراوة ضرهم ولا تطفأ شرارة شرهم، وتارة يكونون سفارا يحتكمون على الإسلام في الأموال المجلوبة وتقصر عنهم يد الحكام المرهوبة** »[5]، كما كتب صلاح الدين في هذا الشأن سنة(1183م)، يقول:« **كان أهالي جنوة وبيزة والبندقية يجلبون إلى مصر منتجات مختارة من الغرب، وخاصة الأسلحة والمعدات الحربية، وهذا ما يشكل فائدة للإسلام وخسارة للنصرانية** »[6].

---

[1] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون ، موسوعة تاريخ مصر، المرجع السابق، ص374.

[2]– صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص211.

[3]– عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص65.

[4]– سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص151.

[5]– سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع نفسه، ص ص375، 376.

[6]– ألبير شاندور، صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام، تر: سعيد أبو الحسن، تح: نديم مرعشلي، تق: مصطفى طلاس ط2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1993، ص106.

أما التجارة الداخلية، فلم تكن أقل نشاطا في العصر الأيوبي، حيث ذكر المؤرخون عن كثرة الأسواق[1]، من بينهم الرحالة ابن جبير الذي زار مصر خلال هذا العصر، ووصف بعض مدنها وقال: فيها الأسواق وسائر ما يحتاج إليه من المرافق [2]، وتشهد كتب الحسبة التي ألفت في العصر الأيوبي على مدى النشاط التجاري والمعاملات داخل الأسواق في ذلك العصر[3].

ب/ الأوضاع الإجتماعية:

تكون المجتمع المصري في العصر الأيوبي من الطبقة الخاصة المكونة من السلاطين والأمراء ويليها طبقة علماء الدين الذين ارتفعت مكانتهم، وتقرب السلاطين منهم وأغدقوا عليهم الأموال، وكان لهم دور خاص في المجتمع، أما التجار فهم الطبقة الثالثة، فقد ساهموا في الازدهار الاقتصادي للدولة أما طبقة العامة فهي تشتمل على الفلاحين والصناع والجند، وبالإضافة إلى ذلك شكل أهل الذمة طبقة وهم من أهل الكتاب من اليهود والنصارى [4]، وكانت فئة المسلمين هي الغالبة على المجتمع أما القبطيون الذين بقوا على دينهم فهم أقلية، اشتغل بعضهم بالدواوين، واستقر البعض الآخر في الأديرة[5].

قامت الدولة الأيوبية في مصر من الناحية الزمنية بين دولتي العبيديين والمماليك هاتان اللتان اتصفتا بالبذخ، وامتازت الحياة الاجتماعية فيهما بالإسراف والمبالغة في إحياء الحفلات، لكن دولة الأيوبيين نشأت في ظرف عصيب، حيث كان الصليبيون أشد قوة بالشام ومصر لذلك لم يكن هناك متسع أمام الأيوبيين ليحيوا حياة اجتماعية مترفة، حيث غلبت فكرة الجهاد على السلاطين والعامة وسخرت الأموال لذلك، إلا أن هذا لايعني أن الحياة الاجتماعية زمن الأيوبيين صارت مجدبة كل الجدب، إذ لم يخلو الأمر من إقامة حفلات دينية وغير دينية[6]، حيث أقام السلاطين الأسمطـــة[7].

---

[1] – صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص229.

[2] – أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير، رحلة ابن جبير، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص32.

[3] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، موسوعة، المرجع السابق، ص377.

[4] – رشا خليل أحمد علي، الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي(567هـ-648هـ/1171م-1250م)، رسالة ماجستير إشراف: محمد خريسات، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2010، ص19.

[5] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص65.

[6] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع نفسه، ص378.

[7] – سميت الموائد السلطانية بالأسمطة؛ انظر: القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص56.

لكن كل ذلك تم غالبا في غير إسراف، وهذا ما يذكره المقريزي في حديثه عن الاحتفالات الأيوبية أنها خلت من صور المنكرات التي شهدها عصر الفاطميين والمماليك[1]، والواقع أن الأيوبيين اقتصدوا في الحفلات، حيث ألغوا ما ارتبط منها بأعياد الشيعة، وحوروا البعض الآخر بما يلائم مذهب أهل السنة[2].

وما يلاحظ على المجتمع المصري كما ذكرنا في مستهل الحديث هي تلك المكانة التي حظي بها رجال الدين ونخص منهم الفقهاء والمتصوفين، فقد كانت لهم الأذان الصاغية من المجتمع أحسن من السلاطين والملوك، وذلك لأن رجال الدين لم يقتصروا على دور الإرشاد اتجاه المجتمع، بل تعدوا ذلك إلى أن وقفوا معهم موقف المصلحين، يدافعون عن حقوقهم ويبصرونهم بها، بل إن رجال الدين كانوا يشاركون بأنفسهم في الحروب الصليبية، إما بحمل السلاح، أو رفع معنويات الجند، وهذا ما دفع بالسلاطين إلى تقريبهم والاعتماد عليهم من أجل بث روح الجهاد لدى الجند، وهذا ما أكسبهم المكانة المرموقة وسط المجتمع[3]

وبلغ المجتمع المصري درجة كبيرة من الرقي، وهذا ماذكره البغدادي الذي زار القاهرة في العهد الأيوبي، فقال عن حمامات القاهرة أنه لم يشاهد فيما سواها في بلاد أخرى أتقن منها صنعة واحكاما [4]، وكذلك تكلم ابن جبير عن عناية صلاح الدين بالأغراب الذين يتوافدون إلى الإسكندرية وغيرها لطلب العلم، كما ذكر أنه شاهد بالقاهرة مارستانا للمرضى [5]،ويتفق كل المسافرين الذين زاروا القاهرة في عهد صلاح الدين على ما تنعم فيه من رخاء [6]، ولم تكن مدن الصعيد أقل رقيا في مستواها عن القاهرة وغيرها، إذ ذكر ابن جبير عن بعض مدن الصعيد أنها كانت ممتازة حسنا وبنيانا ونظافة[7].

---

[1] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق، ص378.

[2] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص155.

[3] – عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص ص 66، 68.

[4] – عبد اللطيف البغدادي، رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر(الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)، أشرف على إعدادها: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ب، 1998، ص113.

[5] – ابن جبير، المصدر السابق، ص ص 7، 8.

[6] – ألبير شاندور، المرجع السابق، ص104.

من جهة أخرى عرف العصر الأيوبي في مصر أشكالا من الفساد الاجتماعي التي كانت استمرارا للعصور السابقة منها: تعاطي الحشيش خاصة مع قدوم الصوفيين حتى عرفت بحشيشة الفقراء، وذلك نسبة إلى فقراء الصوفية الذين تعاطوها بحجة أنها تذهب الهموم وتجلب الأفكار ومن مظاهر الفساد أيضا، انتشار الزنا والشذوذ، خاصة مع ظروف الحروب التي نتج عنها كثرة السبي وازدهار تجارة الرقيق[1].وحتى بيع الأحرار وفي هذا الصدد يقول البغدادي: « **وأما بيع الأحرار فشاع وذاع عند من لا يراقب الله، حتى تباع الجارية الحسناء بدراهم معدودة** ..»[2].

=[7]– ابن جبير، المصدر السابق، ص ص32، 33.

[1]– رشا خليل أحمد علي، المرجع السابق، ص227، 228.

[2] – عبد اللطيف البغدادي، المصدر السابق، ص140

المبحث الأول: العوامل المؤثرة على ظهور الحركة الفكرية والعلمية

المطلب الأول: شخصية الحكام

المطلب الثاني: الصراع المذهبي

المطلب الثالث: الرحلات العلمية

العوامل المؤثرة على ظهور الحركة الفكرية والعلمية في مصر:

المطلب الأول: شخصية الحكام

لعب الحكام الأيوبيون دورا بارزا في الحياة العلمية بمصر وذلك من خلال التشجيع والعناية الكبيرة التي أولوها لهذا الجانب، ومثلما كان حرصهم على لم شمل المسلمين ودحر الصليبين عن البلاد الاسلامية قابله حرص آخر على نشر العلم الذى كان من أسمى المقاصد التي كانوا يرمون إليها بالرغم من أن الأيوبيين كانوا أكرادا بأصلهم و نسبهم ولكن كانوا عربا بثقافتهم و نشأتهم العربية الإسلامية[1].

هذه النشأة التي كان لها الدور الكبير في رسم شخصية الحكام الأيوبيين والمتسمة بحب العلم والعلماء، والاهتمام خاصة بالعلوم الدينية والأدبية، فقد كان السلطان صلاح الدين الأيوبي يحفظ القرآن الكريم وكتاب التنبيه في الفقه للشيخ إبراهيم بن علي بن يوسف [2]، وكانت مجالسه حافلة بالعلماء الكبار الذين يعرضون فيها المسائل العلمية ويناقشونها بحضرة السلطان الذي يشاركهم في ذلك، وفي هذا الشأن يقول عبد اللطيف البغدادي: « ... **وجدته أميرا جليلا مهيب الطلعة جديرا بالاحترام والتقدير، وديعا متواضعا ذكيا سمح النفس، واسع الإدراك** »، ثم قال:« **وجدته في ندوة من العلماء يتذاكرون العلوم، ورأيته وهو يحسن الإنصات ثم يشترك في الحديث** »[3].

ونفس الحال ينطبق على الملك الكامل محمد بن السلطان الملك العادل الذي عرف بتعظيمه للسنة وملازمته للعلماء وفي هذا الشأن يقول المنذري :« **كان الكامل معظما للسنة النبوية وأهلها راغبا في نشرها والتمسك بها، مؤثرا الاجتماع مع العلماء والكلام معهم حضرا وسفرا** »[4].

---

[1]– أحمد مختار العبادي، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، د.ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1995، ص94.

[2]– حازم فارس علي، المرجع السابق، ص29.

[3]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص109.

[4]– زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري(ت /656هـ)، التكملة لوفيات النقلة، ج 3، ط3، مؤسسة الرسالة بيروت، 1984، ص485.

ويشير المقريزي إلى سعة إطلاعه فيقول :« **كان يناظر العلماء وعنده مسائل غريبة من فقه ونحو يمتحن بها، فمن أجاب عنها قدمه وحظي عنده** »[1].

وحتى الملك توران شاه (ت /648هـ) آخر ملوك الدولة والذي كان موصوفا بالطيش كان قوي المشاركة في العلم مما جعل المؤرخين يثنون عليه في هذا الجانب[2].

كما عرف عن الحكام الأيوبيين اهتمامهم الكبير بسنة النبي صلى الله عليه وسلم حيث نجد الكثير منهم ممن كانوا يشتغلون بسماع الأحاديث وفي مقدمتهم مؤسس الدولة الأيوبية السلطان صلاح الدين الذي كان شغوفا بسماع الحديث، وإذا كان الشيخ ممن لا يطرق أبواب السلاطين ويتجافى عن الحضور في مجالسهم سعى إليه[3]، فقد كان يتردد على الإمام السلفي(ت /576هـ) عادة أيام الخميس والجمعة والسبت من كل أسبوع حتى يسمع منه [4]،كما سمع موطأ الإمام مالك برواية الطرطوشي (ت/520هـ) على الشيخ أبي طاهر بن عوف(ت/581هـ)[5] كما كان يحرص كذلك على أخذ أولاده معه فنجد ان السلطان العزيز عثمان ابن صلاح الدين وخليفته في الحكم قد سمع الحديث من الحافظ السلفي وابن بري وغيره من العلماء[6].

ولم يكن اهتمامهم منصبا على علم الحديث فقط بل كان لهم اهتمام بعلوم دينية أخرى فمثلا نجد ان الملك المحسن أحمد بن صلاح الدين قد كان له سماع وقراءة للجزء الثاني من كتاب القضاء لشريح بن يونس على الشيخ أبي حفص عمر بن محمد بن اطبرزد [7]، إلى جانب اعتنائهم بالفقه كونهم يجلسون في مجلس القضاء أحيانا[8].

---

[1]- صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص 258.

[2]– عبد اللطيف حمزة، المرجع السابق، ص153.

[3]- ابن شداد، المصدر السابق، ص7.

[4]- عبد اللطيف حمزة، المرجع نفسه، ص150.

[5]- أحمد النجار، الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي، د.ط، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، 1964، ص57.

[6]- المرتضى الزبيدي، المصدر السابق، ص69.

[7]- المرتضى الزبيدي، المصدر نفسه، ص91.

[8]- أحمد النجار، المرجع نفسه، ص57.

وإلى جانب اهتمامهم بالعلوم الدينية فقد كان لهم أيضا اهتمام بالعلوم العربية وآدابها بحيث ساهموا كثيرا في إنعاش الحركة الأدبية، ويعتبر السلطان صلاح الدين أول من شجع الأدب، فالتاريخ يذكر عن هذا الرجل أنه كان يهتم بالشعر ويسمر بالحديث عنه وعن الشعراء، ويحفظ ديوان الحماسة[1]، وكان أيضا يحب ديوان أسامة بن منقذ وله كذلك محفوظ كبير من الشعر يردده في المناسبات[2].

وكان كثيرا ما ينشد قول أبي المنصور محمد بن الحسن الحميري:

وزارني طيف من أهوى على حذر من الوشاة ونور الصبح قد هتفـــا

فكدت أوقظ من حولي به فرحـا وكاد يهتك ستر الحب بي شغفـــا

ثم انتبهت وآمالي تخيل لـــــي نيل المنى فاستحالت غبطتي أسفا[3]

كما ظهرت براعة الأيوبيين في الشعر حتى أنهم كانوا يتراسلون به من ذلك البيت الذي ضمنه صلاح الدين في إحدى رسائله إلى أصدقائه الذين اشتاق لهم:

ما كنت بالمنظور أقنع منكـــم ولقد رضيت اليوم بالمسمـــوع[4]

ويأتي كذلك الكتاب الذي وجهه الكامل محمد بن الملك العادل إلى إخوته يستنجد بهم عندما قام الفرنج بمحاصرة دمياط كشاهد على ذلك، فكان مما كتبه الى الأشرف صاحب خلاط يستحثه على سرعة المجيء ما يلي:

يا مسعدي إن كنت حقا مسعفي فانهض بغير تلبث وتوقـــــف

واطو المنازل ما استطعت ولا تنخ إلا على باب المليك الأشـــرف

واقرأ السلام عليه من عبد لـــه متوقعـــا لقدومـــــه متشوف

---

[1]- مجموع من الشعر الرائق اختاره الشاعر ابو تمام (ت/231هـ).

[2]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص ص34، 35.

[3]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيء الحملة الفرنسية، تق: عبد العزيز شرف، د.ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، د.ب، 2000، ص ص58، 59.

[4]- أحمد بدوي، المرجع نفسه، ص34.

وإذا وصلت إلى حماه فقـــــــل عني بحسن توسل وتلطـــــــــف

إن تأت عبدك عن قليل تلقـــه ما بين كل مهند ومثقـــــــــف

أو تبط عن إنجاده فلقـــــــاؤه يوم القيامة في عراص الموقـــف[1]

كما كانت هناك طرق أخرى استطاع من خلالها الحكام تشجيع الشعر وهي الأعطيات مما حفز الشعراء على قول الشعر ومدح الحكام به، ومما أثر عن ذلك أن شاعرا من الشعراء أنشد صلاح الدين شعرا جاء فيه:

الله أكبر نال القوس باريهـــــــا ورام أسهم دين الله راميهـــــــا

فكم لمصر على الأمصار من شرف باليوسفين فهل أرض تدانيهـــــا

فبابن يعقوب هزت جيدها طربـــا وبابن أيوب هزت عطفها تيهـــا

قل للملوك تخلي عن ممالكهـــــا فقد أتى آخذ الدنيـــا ومعطيهـــــا

فأعطاه صلاح الدين ألف دينار، كما أثاب سعادة الأعمى عن قصيدته الطائية التي مدحه بها بألف دينار كذلك وغيرهم كثير[2].

ونرى أن كل حاكم في ذلك الوقت كان له شاعرا خاصا به على غرار الملك الأفضل الذي كان شاعره الخاص الوزير الجزري ضياء الدين ابن الأثير، وكذلك الملك العادل عم الأفضل والذي اتخذ ابن عنين شاعرا له [3]، ومن تقدير صلاح الدين للأدب ما روي عنه من أنه كان يقول في ملأ من الناس:« **لا تظنوا أني فتحت البلاد بسيوفكم، ولكني فتحتها بقلم القاضي الفاضل** »[4].

---

[1]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص ص80، 81.

[2]- أحمد بدوي، المرجع السابق، ص36.

[3]- عبد اللطيف حمزة، المرجع نفسه، ص62.

[4]- أحمد بدوي، الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام، ط 2، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د.ت ص32.

وفيما يخص تشجيع الحكام للتأليف فتعتبر حقبة بني أيوب من أخصب الحقب في تاريخ مصر في مجال التصنيف والتأليف، إذا ما علمنا أن الحكام كانوا يقربون الكتاب إليهم ويتفاخرون بتأليف الكتب بأسمائهم[1].

ولعل أبرز من اهتم بالتأليف صلاح الدين الذي كان يجيز المؤلفين بسخاء، ولم يكن يعطي الجائزة اعتباطا بل كان ينظر فيها، فإذا لم يتوسم فيها نفعا نبذها[2].

هذا التشجيع الذي لقيه الكتاب من طرف الحكام جعلهم يهتمون كثيرا بتأليف الكتب وإهدائها إلى السلاطين، ومن الذين ألفوا لصلاح الدين ابن شداد [3] الذي ألف له كتابا جمع فيه فضائل الجهاد وقدمه إليه [4]، كما أن اهتمام الملك العادل هو الآخر بالكتب جعل فخر الدين الرازي[5] يبعث له بعض كتبه من خراسان [6]، إلى جانب هذا قام أبو الخطاب عمر بن دحية (ت/633)، بتأليف كتاب سماه المطرب من أشعار الأندلسيين وأهل شمال إفريقية وقدمه إلى الملك الكامل[7].

إن اهتمام الحكام الأيوبيين لم يقتصر على العناية بالعلم و العلماء وإنما سعوا الي توفير كل ما من شأنه أن يكون له أثر إيجابي على الحركة العلمية بمصر من ذلك إدخالهم لنظام المدارس وهي ميزة اختصت بها الدولة الأيوبية بمصر، وقد عرف عن هؤلاء الحكام ببنائهم للكثير من المـدارس في كل من الإسكندرية والقاهرة والفسطاط وغيرها[8].

---

[1]- حازم فارس علي، المرجع السابق، ص24.

[2]- المرجع نفسه، ص 25.

[3]- الإمام العلامة بهاء الدين أبو العز يوسف بن رافع الحلبي المقرئ والفقيه الشافعي ولد سنة(539هـ) بالموصل كان ثقة عارفا بأمور الدين استحضره السلطان صلاح الدين وأكرمه وصار من مقربيه وخواصه توفي سنة (632هـ)،انظر: ابن العماد، المصدرالسابق، ج7، ص276.

[4]- صارم الدين إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي الملقب بابن دقماق (ت/ 809هـ)، نزهة الأنام في تاريخ الإسلام، تح: سمير طبارة، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1999، ص77.

[5]- فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي الفقيه المتكلم ولد سنة (544هـ)، قال عنه الذهبي: «كبير الأذكياء والحكماء كان يتوقد ذكاء وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وانحرافات عن السنة والله يعفو عنه، فإنه قد توفي على طريقة حميدة والله يتولى السرائر » أنظر: الذهبي، المصدر السابق، ج14، ص354.

[6]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص95.

[7]- أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص45.

[8]- أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص ص97، 98.

ومن المدارس التي أنشاها صلاح الدين نجد المدرسة الصلاحية، المدرسة القمحية وسبب تسميتها بذلك أن مرتبات الأساتذة فيها كانت تدفع قمحا [1]، كذلك بنى السلطان الكامل المدرسة الكاملية وكانت تسمى دار الحديث لأنها اهتمت بدراسة الحديث[2]، ويوجد الكثير من هذه المدارس سنأتي علي ذكرها في موضعها من البحث.

هذا ولم يكن تشجيع العلم مقتصرا علي الحكام فقط، بل كان هناك من الوزراء والأمراء و القواد من سار عل نهج الحكام، و من الذين كانت له شخصية علمية بالعلم نذكر مثلا:

القاضي الفاضل الذي وزر لصلاح الدين، فقد كان هذا القاضي يحفظ القرآن الكريم، وكتب ختمة ووقفها، كما اهتم بالحديث حيث قرأ الجمع بين الصحيحين لعلي ابن فرح [3]، وأما فيما يخص مشاركته في تشجيع الحركة العلمية بمصر، فقد بني مدرسة بالقاهرة، بدرب الملوخية[4].

كما عرف عن القاضي الفاضل [5] اهتمامه بالكتب، فقد كانت له مكتبة حوت مئة ألف مجلد وعن حبه للكتب يقول المؤرخ ياقوت الحموي:«..**كان جماعا للكتب، حريصا عليها جدا ولم أرى مع اشتمالي على الكتب و بيعي لها وتجارتي فيها، أشد اهتماما منه بها، ولا أكثر حرصا منه على اقتنائها**..»[6]، هذا ويعتبر القاضي الفاضل من الذين خدموا العلم ليس فقط بتشجيع العلمـــاء وإنما كان أحد أعلام ورواد الحركة الفكرية التي عرفتها مصر زمن الأيوبيين، فقد كان للرجل بـــــــاع

---

[1]– صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص ص97، 98.

[2]– المرجع نفسه، ص99.

[3]– الذهبي، المصدر السابق، ج 21، ص344.

[4]– ابن خلكان، المصدر السابق، ج3، ص162.

[5]– أبو علي عبد الرحيم ابن القاضي الأشرف بهاء الدين البيساني المعروف بالقاضي الفاضل ولد سنة(529هـ) وزر لصلاح الدين وبرز في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين، قال الذهبي في ذلك: « إنتهت اليه براعة الترسل وبلاغة الإنشاء وله في ذلك الفن اليد البيضاء، ويقال أن مسودات رسائله ماتقصر عن مئة مجلد وله النظم الكثير، وقد أخذ الصنعة عن الموفق يوسف بن الخلال صاحب الإنشاء للعاضد »، (ت/596هـ)؛ أنظر: الذهبي،المصدر نفسه،ج 20 ص 338 وما بعدها؛ ابن خلكان المصدر نفسه مج3 ص158.

[6]– حازم فارس علي، المرجع السابق، ص27.

في الشعر و النثر، وله ديوان قد حفظه الزمان[1].

وقد أفرده العماد الكاتب بكلام جميل في كتابه خريدة القصر فقال عنه :« **صاحب القرآن القديم الأقران، وواحد الزمان، العظيم الشأن، رب القلم والبيان، والسن واللسان، والقريحة الوقادة والبصيرة النقادة، والبديهة المعجزة، والبديعة المفرزة، والفضل الذي ما سمع في الاوائل بمن لو عاش في زمانه، لتعلق بغباره أو جرى في مضماره فهو كالشريعة المحمدية التي نسخت الشرائع و رسخت بها الصنائع، يخترع الأفكار ويفترع الأبكار، ويطلع النوار ويبدع الأزهار .. وهو أحق ممدوحي بمدحي، وأقضاهم لحقه** »[2].

وهناك أيضا علم من اعلام هذه الفترة خدم العلم و شرف به و هو العماد الأصفهاني[3] الذي اشتغل بالأدب وبرع في إنشائه، و كان العماد حافظا لدواوين العرب، وله عدة مصنفات منها : "خريدة القصر في شعراء العصر"، و كان القاضي الفاضل يقول: « **إن العماد كالزناد الوقاد، يعني أن النار في باطنه كامنة و ظاهرة فيه فترة ..**»[4].

وإلى جانب هؤلاء السياسيين الذين ذكرنا، هناك فئة أخرى اهتمت بالجانب العلمي وهم رجال العسكر ونذكر منهم :

ضياء الدين الهكاري أكبر أمراء جيش صلاح الدين، والذي كان فقيها تفقه علي الامام أبي قاسم بن البزري بالجزيرة، وسمع من الحافظ السلفي، كان في البداية أحد مساعدي أسد الدين شيركوه وإمام الصلاة في الجيش، وكان يتمتع بشجاعة فائقة وحنكة عسكرية، لذلك ترفع حتى صار أكبر أمراء جيش صلاح الدين، (ت/585هـ)[5].

---

[1]– أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص45.

[2]– عماد الدين الأصفهاني الكاتب(ت/ 597هـ)، خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر 1)، نشر: أحمد أمين وآخرون ج14، طبعة جديدة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005، ص 35، 36.

[3]– أبو عبد الله عماد الدين محمد بن محمد الأصبهاني، المعروف بالعماد الكاتب، ولد سنة (519هـ) بأصبهان ونشأ بها، اشتغل بالأدب وبرع في الإنشاء، توفي العماد في سنة(597هـ) بدمشق؛ أنظر: ابن تغري بردي الأتابكي، المصدر السابق، ج 6 ص ص159، 160. .

[4]– ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص ص159، 160.

[5]– ماجد عرسان الكيلاني، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط 3، دار القلم للنشر والتوزيع، الإمارات العربية المتحدة، 2002، ص263.

إضافة إلى عسكري آخر وهو الأمير بهاء الدين قراقوش [1] العالم الفقيه، إلا أن هذا الأخير كرّس نفسه للخدمات العسكرية والإدارية [2]، والناس ينسبون اليه أحكاما عجيبة [3] في ولاية نيابة مصر عن صلاح الدين، وفيها أشياء يبعد وقوع مثلها منه والظاهر أنها موضوعة، فإن صلاح الدين كان يعتمد عليه في أحوال المملكة، ولولا وثوقه بمعرفته وكفايته ما فوضها إليه[4].

---

[1]– الأمير بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي، من خدام أسد الدين شيركوه، ثم إتصل بخدمة صلاح الدين الذي كان يثق فيه ويعول عليه في مهماته، ولما أسر فداه صلاح الدين بعشرة آلاف دينار وقيل بستين ألف دينار، توفي الأمير قراقوش سنة(597هـ)، أنظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص159.

[2]– ماجد عرسان الكيلاني، المرجع السابق، ص263.

[3]– يقول ماجد عرسان الكيلاني في هذا الصدد: « ويبدو أن سياسته في القاهرة كانت حكيمة وحازمة في إزالة آثار الفاطميين وتضييق الخناق على بقاياهم لذلك لم يجدوا سبيلا لمحاربته إلا بالإشاعات وتشويه السمعة حيث وضعوا عنه كتابا أسموه الفاشوش في أحكام قراقوش »؛ أنظر: ماجد عرسان الكيلاني، المرجع نفسه، ص264.

[4]– ابن تغري بردي، المصدر نفسه، ج6، ص158.

المطلب الثاني: الصراع المذهبي

يعد الصراع المذهبي أحد الأسباب الرئيسية في ازدهار الحركة الفكرية والعلمية في العصر الأيوبي بمصر، ونقصد بالصراع المذهبي هنا الخلاف بين مذهب السنة ومذهب الشيعة، وما كان له من أثر على الحياة الفكرية والعلمية بمصر.

أ/ سياسة العبيديين في مصر:

في الوقت الذي ظن فيه الجميع بأن الفكر الشيعي في العالم الإسلامي قد سار إلى انحصار شديد، جاءت الأحداث التالية لتفصح عن بداية حقيقية لدولة التشيع، وذلك عندما استولى العبيديون على مصر سنة(358هـ)، لتتأسس أول خلافة شيعية في العالم الإسلامي[1].

دخل العبيديون مصر ومعهم دعوة جديدة حرصوا على نشرها في البلاد المصرية، وهي الدعوة الفاطمية التي أطلقوا عليها اسم الدعوة الهادئة ودعوة الحق [2]، ووضعوا في سبيل ذلك خطة محكمة وهي أن يقوم هذا المذهب على أسس ثابتة من العلم والمعرفة، وذلك من خلال سياسة تعليمية شاملة ترتكز على إنشاء المراكز العلمية، واستدعاء العلماء وبذل الأموال في سبيل ذلك [3]، وكان من مراكز هذه الدعوة، قصر الخلافة من جهة، والجوامع الكبرى من جهة أخرى، والتي من أهمها الأزهر[4]، الذي بناه جوهر الصقلي بعد بناء مدينة القاهرة ليكون رمزا لسيادة الدولة الفاطمية سنة(361هـ)[5]، كما أمر جوهر بقطع الدعوة للعباسيين، وأقام الدعوة للمعز لدين الله، وأضاف إلى الأذان حي على خير العمل[6]، وأمر الخطباء بلبس البياض شعارا للفاطميين[7].

---

[1] – أيمن شاهين سلام، المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني، اطروحة لنيل دكتوراه الفلسفة في الآداب شعبة التاريخ الإسلامي، إشراف: الدكتور أحمد عبد الحميد خفاجي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا 1999، ص2.

[2] – عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص22.

[3] – حسن الأمين، صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين، ط1، دار الجديد، بيروت، 1995، ص18.

[4] – عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع نفسه، ص22؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج4، ص200.

[5] – صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص125.

[6] – سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق، ص261.

[7] – صبحي عبد المنعم، المرجع نفسه، ص126.

عمل العبيديون على تثبيت عقائدهم في المجتمع مستخدمين في ذلك أساليبهم من المكر وأقنعوا أهل مصر أنهم من آل البيت وأن الله تعالى مصدر العلم، وأنه أفاضه على محمد صلى الله عليه وسلم، وأن محمدا ورّثه عليا من بعده، وأن عليا ورّثه أبناءه واحدا واحدا، ولجأ العبيديون إلى التأويل لتكييف الدين على النحو الذي يتفق مع عقولهم وميولاتهم[1]، واستخدموا لدعوتهم نظاما دقيقا لطريقة تعليمها عبر مراحل منها، أن التكاليف فرضت للعامة لتشاغل الخاصة عنها بما هو أسمى منها[2]، أما عن طريقة تعليمها فقد أطلق العبيديون على تعاليمهم كما أشرنا سابقا اسما لفت إليه أنظار العامة والخاصة فسموها علوم أهل البيت، ثم عهدوا في شرح هذه العلوم إلى فئة خاصة من علمائهم هم الدعاة، وكان يعينهم في هذه المهمة الوزراء، وكان الخليفة نفسه هو المرجع الأول والأخير في كل ذلك لأنه الشخص الذي ورث العلم الإلهي[3].

أقام العبيديون مراكزا لبث دعوتهم منها القصر الفاطمي، والجوامع الأخرى مثل: الأزهر وجامع عمرو بن العاص، وأنشأوا دور العلم [4]، والتي من أشهرها دار العلم، أو دار الحكمة التي أنشأها الحاكم بأمر الله سنة(395هـ)[5]، وألحق بها مكتبة كبيرة، وكان بها قاعة للمطالعة والبحث، وقام على هذه الدار أكبر رجالات الدولة وهو داعي الدعاة، الذي من مهمته إلقاء المحاضرات، ويأتي لسماعه العلماء والدعاة الذين كان عليهم أن يتلقوا دروسا في الفلسفة والمنطق [6]، وخاصة الفلسفة لأنها تتماشى مع مذهبهم الذي يقوم على العقل أكثر من النقل[7].

---

[1] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص ص74، 75.

[2] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص ص391←395.

[3] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص75.

[4] – عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص22.

[5] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص358.

[6] – عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع نفسه، ص23.

[7] – أحمد النجار، المرجع السابق، ص53.

كما أقام العبيديون المجامع العلمية مثل الذي أنشأه الوزير يعقوب بن كلس بداره[1]، يحضره العلماء والفقهاء، وألف ابن كلس كتابا في الفقه، يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله وابنه العزيز بالله وهو مرتب على أبواب الفقه ويشتمل على فقه الطائفة الإسماعيلية، وقام الدعاة والقضاة بإلقاء الدروس يتعرضون فيها لشرح هذا المذهب، فكان للرجال يوم الأحد، وللنساء يوم الأربعاء وللأشراف يوم الثلاثاء، وعرفت هذه الدروس إقبالا شديدا من الناس لدرجة أنهم ازدحموا مرة لسماع القاضي محمد بن النعمان، فمات منهم أحد عشر رجلا من شدة الزحام[2].

كما اعتنى العبيديون بإنشاء المكتبات وإلحاقها بالقصور والمجامع العلمية والجوامع، ومن أشهرها مكتبة القصر التي كانت تضم حوالي ستمائة ألف وألف كتاب[3].

أثرت المكتبات على فكر الناس، فمن نتائج مكتبة دار العلم أن الناس ذهبوا بعيدا في الإفادة من كتبها، وأحدثت فتنة يقال لها فتنة القصّار، وهو رجل على رأس جماعة عرفوا بالبديعية أفسدوا عقول الناس، فأمر الأفضل بإغلاق دار العلم، ثم أعاد الوزير مأمون البطائحي فتحها، فعادت الفتنة من جديد، وادعى القصّار نفسه الربوبية[4].

إن سياسة العبيديين في نشر مذهبهم لم تقتصر على الاهتمام بالعلم فقط، بل تعدتها إلى استعمال أساليب أخرى مثل: التشكيك في المذهب السني، والتمكين لمواليهم من نيل المناصب العليا كالقضاء[5]، إضافة إلى اضطهاد العلماء السنة وقتلهم، على غرار ما قام به الحاكم بأمر الله لما فتح دار العلم فإنه دعى إليها علماءا من المذهبين الشيعي والسني، ثم ما لبث أن أبعد شيوخ المذهب السني، وبذلك ظهرت للناس الغاية الحقيقة من فتحها وهي بث الدعوة الفاطمية لا غير[6].

كما عرف عن العاضد أنه كان شديد الرفض متغاليا في سب الصحابة رضوان الله عليهـــــم[7].

---

[1]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج4، ص200.

[2]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص ص75، 76.

[3]– حسن الأمين، المرجع السابق، ص20.

[4]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص79.

[5]– سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، موسوعة تاريخ مصر، المرجع السابق، ص264.

[6]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص80.

[7]– ابن أيبك، المصدر السابق، ج7، ص13.

وهكذا شجع العبيديون العلم والعلماء وإقامة المراكز العلمية لأن المذهب الشيعي يقوم على العلم والعقل وبذلوا في سبيل نشر مذهبهم كما أشرنا سالفا كل الوسائل [1]، إلى غاية عهد المستنصر سنة(427هـ)، إذ خفت فيه الدعوة، وعادت للناس حريتهم في اختيار العقيدة والمذهب الذي ألفوه[2]، لكن رغم ذلك استطاع العبيديون نشر مذهبهم بين المصريين بصورة واضحة، وإن لم تكن شاملة فقد كان لها الأثر ودليل ذلك بقائها لمدة قرنين [3]، وذاك راجع إلى الجهود المنظمة للعبيديين والاستفادة من خبرات السنين الماضية، وسياسة التسامح التي ساروا عليها في البداية، وتجنب مبادئ الشيعة المتطرفة[4].

ب/ سياسة الأيوبيين في مصر:

إن الدولة العبيدية ذات المذهب الشيعي والتي حكمت مصر طوال قرنين من الزمان، حيث كانت هذه الفترة بالإضافة إلى سياستهم الدعوية كفيلتان بأن تؤثرا على المعتقدات الفكرية للمجتمع المصري، لذا تحتم على الذين تولوا حكم مصر من بعدهم وهم الأيوبيون أن تكون قاعدة حكمهم للبلاد قائمة على أصل واحد، وهو التركيز على صياغة البناء الفكري للمجتمع المصري صياغة جديدة، تتفق مع كافة التغييرات السياسية والحضارية التي سوف يحدثها الأيوبيون[5].

إن أهم ما اتصفت به الحياة الدينية بمصر في العصر الأيوبي هو تقويض المذهب الشيعي ودعم المذهب السني، ومن المعروف أن المذهب الشيعي في العصر العباسي الثاني قد وجد سندا قويا له في البويهين بالمشرق الإسلامي [6]، إلى أن ظهر السلاجقة السنيون في بلاد خراسان، وامتد نفوذهم إلى عاصمة الخلافة، واستطاعوا أن يقضوا على البويهين عام(448هـ)[7].

ثم استحدث السلاجقة نظام المدارس السنية، وهي منشآت علمية لمحاربة المذهب الشيعي وتهيئة العقول لفكرة الجهاد ضد الصليبيين، ونظرا للاتصال بين السلاجقة والزنكيين، فقد ســـــــار

---

[1]– حسن الأمين، المرجع السابق، ص24.

[2]– أحمد النجار، المرجع السابق، ص55.

[3]– أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص4.

[4]– ستانلي ليبول، سيرة القاهرة، تر: حسن إبراهيم حسن وآخرون، ط2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت، ص118.

[5]– أيمن شاهين سلام، المرجع نفسه، ص164.

[6]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص137.

[7]- محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص122.

نور الدين أيضا على هذه السياسة في الشام[1].

وبتولي صلاح الدين للوزارة في مصر، ولا يخفى علينا أن الأيوبيين على المذهب السني بحيث كان صلاح الدين وكل السلاطين من بعده على المذهب الشافعي، ما عدا الملك المعظم عيسى ابن أخ صلاح الدين كان على مذهب أبي حنيفة[2].

واصل صلاح الدين المد السني الذي بدأه السلاجقة وأكمله الزنكيون، ولأنه كان يريد تحقيق الوحدة الإسلامية، فقد شرع في القيام بالتغييرات تمهيدا للتغيير المذهبي، وشملت هذه التغييرات الصعيد العسكري والإداري والاقتصادي والديني وهو ما يهمنا في هذا المقام، فبدأ بإضعاف دعائم المذهب الشيعي، وقد ساعده في ذلك أن كان له الإشراف على القضاء والوزارة [3]، فأقام الدعوة للعباسيين في المنابر، وأبطل من الأذان نداء "حيّ على خير العمل" [4]، ونزع المناطق الفضية التي كانت في محاريب المساجد والتي تحمل أسماء الخلفاء العبيديين[5].

أدرك صلاح الدين تغلغل المذهب الشيعي في أوساط المصريين، فوقف على هذه المشكلة وكيفية التعامل معها بأساليب ناجحة خاصة وأنه سبق التعامل معها من قبل أهل السنة في المشرق [6] فلجأ صلاح الدين إلى إنشاء المدارس والتي سيتم الحديث عنها بشكل مفصل في المبحث الأخير، وفي هذا الصدد يذكر ابن تغري بردي أن صلاح الدين لما ملك الديار المصرية لم يكن بها شيء من المدارس لأن العبيديين لم يهتموا بهذه الأشياء[7]، ولم يشجعوا بناء المدارس لأن التعليم بالمدارس يكون علنيا عكس مذهبهم الذي يتميز بالسرية [8]، ولأن صلاح الدين متأثرا بمعلمه نور الدين محمود فقد أخذ عنه إنشاء المدارس[9].

---

[1]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص45.

[2]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص199.

[3]– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص ص33، 34.

[4]– ابن شداد، المصدر السابق، ص264؛ ابن واصل، المصدر السابق، ج1، ص201.

[5]– محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص35.

[6]- أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص4.

[7] – ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص50.

[8] – محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص212.

[9]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية ، المرجع نفسه، ص72؛ سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق، ص381.

بدأ صلاح الدين ببناء المدارس مذ كان في منصب الوزارة للعاضد، وذلك من أجل نشر المذهب السني، وتفرعت هذه المدارس على المذاهب الفقهية كالمذهب الشافعي والمالكي والحنفي وغدت المدارس عنصرا أصليا في مقاومة هذه الدعوة والتمكين للمذهب السني، فنشطت الحركة العلمية، وإن كانت في الغالب تتجه إلى العلوم النقلية[1].

كما ساهمت المدارس بشكل كبير في القضاء على العزلة الثقافية التي فرضها العبيديون على مصر، وذلك عن طريق استقطابها لكثير من علماء البلاد الإسلامية، وأحيت علوم أهل السنة بعد أن كانت مصر معقلا للبدع التي نشرها العبيديون سابقا [2]، وبسياسة إنشاء المدارس أصبح صلاح الدين مبتدعا في نظام التعليم، واعتبر المؤرخون عمله فتحا جديدا في طريقة الانتفاع بها لصالح المذهب السني[3].

كما يعد بناء المدارس من أهم المشاريع العمرانية التي اهتم بها صلاح الدين منذ بداية حكمه وذلك لتحقيق عدة غايات أولاها كما ذكرنا سابقا القضاء على المذهب الشيعي وهو أهم سبب إضافة إلى ذلك تكوين طبقة مثقفة تكون سندا له في منهجه وحكمه وقيادته، كما أنها نابعة من إيمانه الشديد، واعتقاده بأن المدارس والمساجد هي قاعدة الدين[4].

ومهما يقال عن هدف صلاح الدين من إنشاء المدارس، فقد كانت في حد ذاتها مظهرا قويا لرقي الحياة الفكرية، ولم تقف عند العلوم الدينية فقط، بل تعدتها إلى باقي العلوم الأخرى كما سيرد في المبحث الثاني، وسار السلاطين من بعد صلاح الدين على هذا النهج في إنشاء المدارس[5].

إن صلاح الدين كان واعيا لمشكلة الصراع المذهبي، ومدى أهميته في تثبيت دعائم الحكم، كما كان مدركا لسياسة العبيديين، وأن هناك أمورا لا تعالج بالقوة، وإنما تعالج على مستوى الفكر والعقل لذلك لجأ إلى علوم أهل السنة، وإنشاء المدارس وجلب العلماء لأنها أنفع طريقة في ظل الظروف التي كانت سائدة آنذاك[6].

---

[1]- أحمد النجار، المرجع السابق، ص55.

[2]- أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص ص165←173.

[3]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص72.

[4]- محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص212.

[5]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص141.

المطلب الثالث: الرحلات العلمية

إن الرغبة في طلب العلم كانت ظاهرة عامة في المجتمع الإسلامي، لم يتخلف عنها غني ولا قعد عن السعي إليها فقير وكان طلاب العلم ينتقلون من حلقة إلى أخرى، يعالجون في كل منها فرعا من فروع المعرفة، و ربما ألحت بهم الرغبة في الاستزادة من علم ما، أو بلغت شهرة أحد العلماء فشدوا الرحال من مدينة إلى أخرى ومن بلد لآخر، من ذلك أن طلبة العلم كانوا يفيدون من أقصى المغرب و الأندلس إلى بلاد المشرق للأخذ عن فحول العلماء، وكانت مصر مأوى لكثير من العلماء وطلاب العلم من مختلف أقطار العالم الاسلامي، وكان بعض العلماء يأتون إليها ليستقروا فيها و بعضهم يقيم فيها فترة ثم يعود إلى بلده[1].

ولقد كانت هناك عدة عوامل شجعت على شد الرحال إلى مصر منها:

– موقع مصر المتميز ما بين المغرب و الاندلس و بلاد الشام والحجاز [2]، والذي كان له أثر بالغ الأهمية في إزدهار الحركة الفكرية، فالمارون في طريق حجهم بمصر يؤثرون في حركتها الفكرية و يتأثرون بما فيها ، لان اغلبهم كانو يحرصون علي لقاء المشايخ فيها ، وقد يعجبهم المقام فيها فيستقرون بها وقد نشا عن ذلك حركة علمية و فكرية نشطة وامتزاج حضاري و ثقافي بين المشرق والمغرب[3].

– رعاية التعليم و تشجيعه من اهم العوامل المؤثرة على الحركة العلمية التي قامت بمصر آنذاك ، فكان صلاح الدين الأيوبي كلما سمع بعالم ذائع الصيت زين له نزول بلاده ، وحقق له جميع رغباته وكان يغدق على المدرسين و يوسع الرزق علي القائمين بشؤون العلم في البلاد حتى صارت أرزاق بعضهم إقطاعا تتجاوز مائتي ألف دينار و ربما اكثر[4].

= [6]– أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص165.

[1]– صبحي عبد المنعم، العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والأيوبيين، د.ط، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة د.ت ص337.

[2]– أنظر: الملحق رقم2، ص102.

[3]– سلطان عبد الرؤوف الحريري، المرجع السابق، ص23.

[4]– أحمد بدوي، صلاح الدين بين شعراء عصره، المرجع السابق، ص32.

ويتحدث ابن جبير في رحلته إلى مصر عن الرعاية التامة التي كان يجدها الطلاب فيقول :
« **يفدون إليها من الأقطار النائية فيلقى كل واحد منهم مسكنا يأوي إليه و مدرسا يعلمه الفن الذي يريد تعلمه و إجراءا يقوم به في جميع الأحوال..**»[1].

ويضيف قائلا: « **اتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء الطارئين حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا إليها، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرضى منهم، ووكل بهم أطباء يتفقدون أحوالهم، وتحت أيديهم خدام يأمرونهم بالنظر في مصالحهم التي يشيرون إليها من علاج وغذاء** »[2]، وهكذا وجدت أسباب قوية في الذهاب إلى مصر وكانت من أهم الرحلات التي كان لها تأثير على الحياة العلمية بمصر في تلك الفترة رحلة عدد كبير من علماء البلاد الإسلامية إليها، ومن الجهابذة الأعلام الذين حطوا الرحال هناك نجد:

– الإمام الشاطبي [3] الذي استوطن مصر، فاشتهر اسمه، وبعد صيته وقصده الطلبة من النواحي وكان إماما علامة كثير الفنون منقطع القرين[4]، إضافة إلى الشيخ عز الدين بن عبد السلام [5] الذي انتقل من دمشق قاصدا الديار المصرية، فدرس بها وانتهت إليه رئاسة المذهب الشافعي، وقصد بالفتاوى من الآفاق[6].

---

[1] –ابن جبير، المصدر السابق، ص15.

[2] – المصدر نفسه، ص15.

[3] – أبو القاسم القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الإمام الرعيني الشاطبي الأندلسي المقرئ الضرير، ولد سنة(538هـ)، كان موصوفا بالزهد والعبادة والإنقطاع، له الباع الأطول في فن القراءات و الرسم والنحو والفقه والحديث، استوطن مصر وتصدر للإقراء وشاع ذكره، توفي بمصر سنة(590هـ)؛ أنظر: الذهبي ، المصدر السابق ج21، ص261.

[4] – جلال الدين عبد الرحمان السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 1، ط1، د.ن د.ب، 1967، ص497.

[5] – أبومحمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السلمي الدمشقي، ولد سنة(587هـ)، برع في علوم كثيرة وأفاد الطلبة، وله مصنفات كثيرة، أنكر على الصالح إسماعيل تسليمه لصفد والشقيف إلى الفرنج، فأخرجه من بلاد الشام، توجه بعدها إلى مصر فأكرمه الصالح أيوب وكان يحترمه، توفي بمصر سنة(660هـ)؛ أنظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج17، ص441.

[6] – ابن كثير، المصدر السابق، ج17، ص441.

وكذلك علي بن نصر بن المبارك المعروف بابن البناء، والذي جاء مصر وسمع منه كثيرون في مصر والإسكندرية ودمياط[1]، وعبد بن محمد التكزواي(ت/ 683هـ) من أهل المدينة ، كان عالما ومقرئا رحل إلى الإسكندرية وسكنها وتوفي بها وله كتب منها الشامل في القراءات السبع، والاقتضاء في معرفة الوقت والابتداء[2].

وبالتالي كان لهؤلاء العلماء دور كبير في إنعاش الحركة العلمية بمصر حيث كثر طلاب العلم القادمين من كل حدب وصوب، ويشير ابن جبير إلى العدد الكبير من طلاب العلم الذين سكنوا بمصر وكان أغلبهم من الغرباء الذين وفدوا إلى مصر نظرا لازدياد مكانتها العلمية بين أقطار ديار الإسلام[3].

فعلى سبيل المثال كانت المنطقة الواقعة جنوب باب زويلة مشتهرة بسكن فئات من العلماء وعلى الأخص المحدثين[4].

كما كان جامع ابن طولون يضم عددا كبيرا من المغاربة الذين تفرغوا لطـلب العلم والعبادة[5].

ولذلك حث ابن جبير أبناء المغرب على الرحلة إلى المشرق حيث يجد الرحالة العلم والتشجيع والإكرام في دولة السلطان صلاح الدين، وهذا مارآه وعاينه بنفسه في أثناء مروره بمصر حيث يقول: « **فمن شاء الفلاح من نشأة مغربنا فليرحل إلى هذه البلاد ويتغرب في طلب العلم ، فيجد الأمور المعينات كثيرة ، فأولها فراغ البال من أمر المعيشة وهو أكبر الأعوان وأهمها ، فإذا كانت الهمة فقد وجد السبيل إلى الاجتهاد ولا عذر للمقصرين إلا من يدين بالعجز والتسويف ... فهذا المشرق بابه مفتوح، فادخل أيها المجتهد بسلام، قد نصحت إن ألفيت سامعا وناديت إن أسمعت مجيبا** »[6].

---

[1]- صبحي عبد المنعم، المرجع السابق، ص354.

[2]- عبد السلام هاشم حافظ، المدينة المنورة في التاريخ دراسة شاملة، ط 3، منشورات نادي المدينة المنورة الأدبي، د.ب، 1982 ص154.

[3]- ابن جبير، المصدر السابق، ص24.

[4]- عدنان محمد فايز الحارثي، أثر صلاح الدين الأيوبي على التطور الحضاري والعمراني لمدينة القاهرة(564-589هـ)، أطروحة لنيل شهادة الماجستر في الحضارة والنظم الإسلامية، إشراف حسام الدين السامرائي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى، 1988م، ص158.

[5]- ابن جبير، المصدر نفسه، ص ص 26، 27.

ومن طلاب العلم الذين قصدوا مصر فتأثروا وأثروا نجد:

-الشيخ قطب الدين القسطلاني المكي الشافعي، نشأ بمكة وأجاز له الشيخ أبو الفتوح الحصري المدرس المصري بمدرسة ابن الأرسوفي بمكة ثم رحل إلى مصر لتلقي العلم ليعود بعدها إلى مكة وعين قاضي هناك، ثم طلب من مكة للتدريس بمشيخة دار الحديث الكامل بالقاهرة فتولاها حتى مات سنة(686هـ)[1].

-أبو الفتح محمد بن عبد الله بن الحسين بن علي من كبار الحنابلة بمكة وقد جاء الي مصر، وسمع من ابي الطاهر الزيات و بالإسكندرية من الحافظ السلفي ، وحدث بمكة و مصر والإسكندرية وأقام بمكة إماما للحنابلة حتى توفي سنة(590هـ)[2].

- تقي الدين أبو حفص المعروف بالميانشي(ت/581) شيخ مكة و خطيبها جاء إلى مصر وسمع من محمد المزاري كتابه المعلم بفوائد مسلم، وله مؤلفات منها: "إيضاح ما لا يسع المحدث جهله"[3].

- عبد الرحمان بن محمد بن ابي النضر الطبري المكي، مفتي مكة سمع من أبي الحسن علي المقير ومن علي ابي الفضل المرسي صحيح مسلم، وصحيح ابن حبان، وأجاز له من مصر ابن الحباب والساوي، وكان فقيها ويعرف طرقا من الحديث والعربية[4].

- إمام الدين أبو طالب عبد المحسن بن أبي العميد(ت /624هـ) الفقيه الشافعي الذي كان إماما للمقام، فقد رحل في طلب العلم إلى أمصار عديدة منها القاهرة والإسكندرية[5].

=[6]- ابن جبير، المصدر السابق، ص260.

[1]- تقي الدين محمد بن أحمد الفاسي(ت 832هـ)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، ج 2، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985، ص321 وما بعدها.

[2]- ابن العماد، ج6، ص، ص497، 498.

[3]- المصدر نفسه، ج6، ص344.

[4]- المصدر نفسه، ج5، ص403، 404.

[5]- عائشة عبد الله باقاسي، بلاد الحجاز في العصر الأيوبي(567-648هـ)، أطروحة لنيل درجة الماجستر في التاريخ الإسلامي إشراف: محمد حسنين ربيع، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة الملك عبد العزيز، 1980م، ص354.

– الفقيه أبو الوفاء الحنفي الذي ذهب إلى مصر وسمع من الحافظ أبي الطاهر السلفي ومن أبي القاسم البوصيري، وقد إستوطن الديار المصرية مدة، وولى الحسبة بها، وتولى التدريس بمدرسة إبن الزنجبيلي[1].

– ابن الحباب المالكي محمد بن عبد العزيز السعدي الأنصاري(ت 605هـ)، قدم من مكة إلى مصر طلبا للعلم فسمع من ابن عوف بالإسكندرية وسمع بمصر من جماعة، وقرأ القرآن بالروايات على أبي الفتوح ناصر بن الحسين الزيدي، وقرأ الأدب على العلامة أبي محمد بن بري وأجاز له ثم عاد إلى مكة وتولى قضاءها[2].

ولا بد من الإشارة إلى الطلاب المصريين الذين كانت لهم رحلات علمية إلى البلاد العربية ثم عادوا إلى بلده ودرسوا بها ومنهم:

– الحافظ زكي الدين المنذري المصري الشافعي (ت/656هـ)، الذي رحل إلى مكة وسمع من يونس الهاشمي، وأبي عبد الله بن البناء وجعفر بن محمد بن آموسان الذي أملى عليه بمكة، إضافة إلى خلق كثير لقيهم بالحرمين والشام والجزيرة، بعدها عاد المنذري إلى مصر ودرس بالجامع الظافري بالقاهرة مدة ثم تولى مشيخة دار الحديث الكاملية[3].

– شرف الدين الدمياطي الشافعي الذي سمع بالإسكندرية من أصحاب السلفي، ثم قدم القاهرة وعنى بهذا الشأن رواية ودراية ليستمر في طلبه للعلم بحيث رحل إلى الحجاز وسمع بالحرمين وله مصنفات منها: كتاب "الصلاة الوسطى"، و"الإسناد في حديث أهل بغداد"، و"مختصر السيرة النبوية"[4].

– ابن دقيق العيد الذي نشأ بقوص وحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالقاهرة والإسكندرية ثم رحل إلى الحجاز وأخذ عن كبار العلم هناك ليعود بعدها إلى مصر للتدريس بدار الحديث بقوص[5].

---

[1]– تقي الدين الفاسي، المصدر السابق، ج5، ص39.

[2]– المصدر نفسه، ج2، ص ص 122، 123.

[3]– الذهبي، المصدر السابق، ج23، ص ص320، 321.

[4]– صبحي عبد المنعم، المرجع السابق،ص354.

[5]– الفاسي، المصدر نفسه، ص354 .

المبحـــــــث الثاني: ملامح الحركة الفكرية

المطلب الأول: العلوم الدينية

المطلب الثاني: العلوم اللغوية والاجتماعية

المطلب الثالث: العلوم التجريبية

من ملامح الحركة الفكرية التي عرفتها مصر في عصر الأيوبيين، تداول العلماء وطلاب العلم لكثير من العلوم على اختلاف أصنافها وألوانها، ومن بين أهم العلوم المتداولة نجد:

المطلب الأول: العلوم الدينية

لقد حظيت العلوم الدينية بالدرجة الأولى من الاهتمام من طرف المصريين، باعتبارها الوسيلة التي يتم من خلالها فهم الدين الإسلامي، ومن جملة العلوم الدينية التي كانت منتشرة في تلك الفترة:

أ/ **علم القرءات:** وهو علم يبحث عن صور ونظم كلام الله عزّ وجل، من حيث وجوه الاختلاف المتواترة، وله استمداد من العلوم العربية، والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة وفائدته صون كلام الله تعالى عن التحريف والتغيير[1].

كان لمصر شهرتها في هذا العلم منذ منتصف القرن الثاني للهجرة، إلا أن النشاط والحركة العلمية التي كانت في مصر في العهد الأيوبي قد ألقت بظلالها على هذا الفن، حيث كان الإقبال والعناية به بشكل كبير، باعتباره من أشرف العلوم، نظرا لكونه يهتم بكلامه الله – فشرف العلم بشرف المعلوم–

وعليه فإن المجالس العلمية التي يعقدها العلماء لمناقشة هذا الفن، وحلقات التدريس الخاصة به عرفت انتشارا كبيرا، ومن الذين تصدروا لهذا الأمر نجد الشيخ القارئ: أبو القاسم الشاطبي(ت/590هـ)، الذي ولاه القاضي الفاضل مشيخة الإقراء بمدرسته، وجعله شيخها، ورفع مكانته كثيرا[2].

هذا وقد قرأ على الشاطبي خلق كثير، منهم أبو موسى المقدسي، وأبو عبد الله محمد بن عمر القرطبي، وأبو الحسن السخاوي[3]، هذا الأخير الذي صار قبلة لطلاب العلم في هذا الفن، وقرأ عليه الكثير منهم: شهاب الدين أبو شامة المقدسي، صاحب كتاب الروضتين[4]

---

[1]– صديق بن حسن القنوجي(ت /1307هـ)، أبجد العلوم(السحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)، ج 2، د.ط دار الكتب العلمية بيروت، د.ت، ص428.

[2]– أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري(ت/833هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، تح: برجستراسر، ج2، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 2006، ص20.

[3]– أبو الحسن علي بن محمد السخاوي، المقرئ النحوي الشافعي، ولد سنة(558هـ) بسخاو، بُليدة من أعمال مصر، فاق السخاوي أهل زمانه في القراءات، وكان دينا خيرا متواضعا، (ت/643هـ)، انظر ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص385.

[4]– شمس الدين محمد بن علي الداوودي(ت /945هـ)، طبقات المفسرين، مر: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ج 1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1983، ص430.

قال الذهبي عن عدد الطلبة الذين كانوا يقصدون السخاوي للقراءة عليه: « **ما علمت أحدا في الإسلام حُمل عنه القراءات أكثر مما حُمل عنه** »[1].

إضافة إلى علماء آخرين تصدروا للإقراء مثل: أبو الحسن علي بن شجاع الهاشمي(ت /661هـ) صاحب الشاطبي وزوج ابنته، فقد جلس للإقراء مدة طويلة [2]، وشيخ المقرئين في زمانه أبي الجود غياث بن فارس المصري(ت /605هـ)[3]، وأبو القاسم عبد الرحمان ابن الصفراوي(ت /636هـ) والذي انتهت إليه رئاسة الإقراء بالإسكندرية وذاع صيته[4].

وهكذا نجد أن علماء كبار نهضوا بهذا الفن في أرض مصر، مما حفز طلبة العلم على الإقبال على علم القراءات، والسعي وراء العلماء لتحصيله، مثلما كان عليه الحال بالنسبة للطلبة الذين لازموا أبا الجود حتى صاروا مشايخ في القراءات، وعن هذا يقول الذهبي: « **وكان أكثر المتصدرين للإقراء بمصر أصحابه** »[5]، كما ذكر عن أبو القاسم الصفراوي إجازته لجماعة قدمت إليه من دمشق[6].

والملاحظ كذلك أن علم القراءات في مصر لم يزدهر على أيدي العلماء المصريين فقط، بل كان للعلماء القادمين من خارج مصر دور كبير في جعله من بين أهم العلوم المتداولة آنذاك، فعلى غرار الشاطبي الذي قصده القاصي والداني، كان هناك أندلسي آخر اشتغل بهذا الفن وهو أبوالعباس البصير(ت/623هـ)، الذي عرف بالقراءات السبع، حيث أجاز سبعة آلاف رجل بالقراءات[7].

كما ظهرت مصنفات كثيرة تنم عن التوسع والدراية التامة بالقراءات من قبل علماء هذه الفترة فعلى سبيل المثال هناك مؤَلّف شهير للإمام الشاطبي، وهي قصيدة نظمها لتضبط أصول هذا الفـــن وتنظمه، والموسومة بـ"حرز الأماني ووجه التهاني"، والتي تعرف بمتن الشاطبية في القراءات السبع وعدتها ألف ومائة وثلاث وسبعون بيتا، حيث أبدع فيها كل الإبداع، وهي عمدة القراء، ولم يسبق إلى أسلوبها، وكان الشاطبي يقول: « **لا يقرأ أحد قصيدتي هذه، إلا وينفعه الله عزّ وجل لأني نظمتها لله تعالى مخلصا في ذلك** »[8]

---

[1]– ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص485.

[2]– السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص502.

[3]– الذهبي،سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص473.

[4]– الذهبي، العبر في خبر من غبر، تح: محمد السعيد زغلول، ج3، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985، ص227.

[5]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج21، ص ص473، 474.

[6]– ابن الجزري، المصدر السابق، ج1، ص337.

[7]– السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص517 . =

وقال ابن كثير عن متن الشاطبية:« **فيها من الرموز كنوز لا يهتدي إليها إلا كل ناقد بصير هذا مع أنه ضرير** »[1]، هذا وقد بدأ الشاطبي تأليف قصيدته بالأندلس إلى قوله(جعلت أبا جاد) ثم أكملها بالقاهرة[2]، ويعتبر أبو الفضل الأنصاري(ت/664هـ) آخر من قرأ الشاطبية على مؤلفها[3].

كما ألف السخاوي كتابا سماه: "جمال القراء وتاج القراء"[4]، وشرح الشاطبية في مجلدين وصنف عبد الله النكزاوي(ت /663هـ) كتابا في القراءات، وأبو العباس أحمد بن علي الأندلسي(ت/640هـ) الذي سكن الفيوم، واختصر التيسير لأبي عمرو الداني[5]، وشرح الشاطبية وأبو علي منصور الإسكندراني(ت/651هـ) الذي نظم أرجوزة في القراءات[6].

ب/ التفسير:

معناه فهم وإدراك معاني القرآن الكريم وأسباب نزول الآيات والتمييز بين الناسخ والمنسوخ واستخراج الأحكام[7]

لما ننظر إلى حركة التفسير بمصر نرى أنها كانت تتصل اتصالا شديدا بحركة النحو، ونرى أن طلائع المفسرين كانوا من النحويين أو القراء [8]، وكان عدد المفسرين بمصر قليلا جدا، ما جعل السيوطي لا يعقد لهم فصلا خاصا في كتابه حسن المحاضرة، كما فعل مع غيرهم من الحدثين والفقهاء مما جعل المعلومات المحصل عليها قليلة جدا، سوى بعض الإشارات الخفيفة، والتي لا تعطي القارئ حقه في الإلمام بجوانب هذا العلم في تلك الفترة.

لكن وبالرغم من قلة المفسرين، إلا أن هناك بعض العلماء الذين كانوا يلقون دروسا في التفسير مثل: الشيخ عز الدين بن عبد السلام، والذي كان له تفسير للقرآن[9].

=[8]- ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص494.

[1]- ابن كثير، المصدر السابق، ج16، ص ص665، 666.

[2]- ابن الجزري، المصدر السابق، ج2، ص21.

[3]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص502.

[4]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج23، ص154.

[5]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص ص501، 564.

[6]- الداوودي، المصدر السابق، ج2، ص339.

[7]-أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص189.

[8]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص190.

[9]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص315.

وكذلك السخاوي ألف تفسيرا في أربع مجلدات وصل فيه إلى سورة الكهف [1]، إضافة إلى منصور ابن سرار(ت /651هـ) الذي صنف تفسيرا للقرآن [2]، ونفس الشيء بالنسبة لقاضي الإسكندرية ابن منير الذي ألف هو الآخر تفسيرا للقرآن الكريم[3]

ج/ الحديث:

هو علم يعرف به أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأفعاله وأحواله، وينقسم إلى قسمين: علم حديث رواية، وعلم حديث دراية[4].

وفي البيئة التي تعنى بعلوم الدين يحتل علم الحديث مكانة مهمة، إذ كان على كل عالم أو فقيه أن يتقن علم الحديث، ليأخذ الدين عن أصوله، إذ الحديث يحتل المرتبة الثانية في مصادر التشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وعرفت مصر في هذه الفترة تواجد عدد كبير من الحفاظ والمحدثين والذين كانوا قبلة لطلاب العلم، حيث يقصدونهم من أجل سماع الحديث، ومن أكبر الحفاظ المصريين أبو الطاهر السلفي [5]، والذي انتهى إليه علم الإسناد، وروى عنه الحفاظ في حياته، وكان عالما بقوانين الرواية[6]، حفاظا ثقة، جوالا في الآفاق، يسأل عن أحوال الرجال[7].

ولقد سمع منه وروى عنه الكثير منهم: السلطان صلاح الدين الأيوبي، وبعض أبنائه، وأهل بيته[8]، وأبو القاسم هبة الله البوصيري(ت/598هـ)[9]، الذي سمع من السلفي[10].

---

[1]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص191.

[2]- الداوودي، المصدر السابق، ج2، ص339.

[3]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص314.

[4]- صديق بن حسن القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص219.

[5]- أبو طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني السلفي، ولد سنة(475هـ)، رحل إلى أمصار كثيرة ثم استوطن الإسكندرية بضعا وستين سنة، مكبا على الاشتغال والمطالعة، والنسخ وتحصيل الكتب(ت/ 576هـ)؛ انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق،ج21، ص5 وما بعدها؛ ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص420.

[6]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص354.

[7]- ابن كثير، طبقات الشافعية، تح: عبد الحفيظ منصور، ج2، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004، ص634.

[8]- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات مصر)، ج7، ط2، دار المعارف القاهرة، د.ت، ص133.

[9]- أبو القاسم هبة الله بن علي بن مسعود، المنستيري الأصل، المصري المولد، المعروف بالبوصيري، كان أديبا كاتبا، له روايات تفرد بها، وألحق الأصاغر بالأكابر في علو الإسناد(ت/598هـ)، انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، ج6، ص67.

[10]- المنذري، المصدر السابق، ج1، ص415.

والمحدث المالكي ابن رواج(ت /648هـ) الذي سمع منه أيضا، وخرّج الأربعين، وكذلك عبد الرحمان(ت/651هـ) سبط السلفي،والذي سمع من جده الكثير، وانتهى إليه علم الإسناد بالديار المصرية[1].

كما كان هناك حفاظ في مصر غير السلفي أمثال: الحافظ أبو محمد عبد العظيم المنذري(ت/656هـ)[2]، والذي كان عالما بالحديث صحيحه وسقيمه، وعقد مجالس للتدريس وتخرج عنه طائفة في علوم الحديث [3] إضافة إلى رجال آخرين لا تقل أهميتهم عمن ذكرنا سابقا مثل: أبو محمد عبد الله الديباجي(ت/572هـ) محدث الإسكندرية بعد السلفي[4]، وأبو الخطاب عمر بن دِحية الأندلسي(ت/633هـ) الذي كان يحفظ صحيح مسلم، ودرّس بالمدرسة الكاملية[5].

إلى جانب هذا اشتهر بعض الرجال برواية الحديث أمثال: أبو المفاخر المأموني(ت /576هـ) الذي روى صحيح مسلم [6]، وعبد الرحمان الرومي(ت /608هـ) راوي صحيح البخاري بمصر والإسكندرية عن أبي الوقف السجزي[7].

كما اعتنى رجال هذا الفن بأمرهم وهو الإجازة، فنجد أن البوصيري(ت /598هـ) قد أجاز المنذري(ت/656هـ)، وهو ما ذكره المنذري في كتابه التكملة [8]، وكذلك كان لسبط السلفي(ت/651هـ) إجازة من عبد الحق الذي ذكره السيوطي في كتابه [9]. هذا وقد كان لبعض النساء اشتغال بهذا الفن، فقد وجدت بعض المحدثات في مصر مثل: جويرية بنت الهكاري والتي كانت محدثة مشهورة تعلمت الحديث على يد علي بن نصر المصري[10].

---

[1]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص379.

[2]- الحافظ المحقق زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ولد سنة(581هـ)، سمع من خلق كثير، وانتفع به الكثير(ت/656هـ)؛ انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج23، ص319

[3]-ابن كثير، طبقات الشافعية، المصدر السابق، ج2، ص799.

[4]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص375.

[5]- ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص280؛ السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص355.

[6]- ابن العماد، المصدر نفسه، ج6، ص423.

[7]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص379.

[8]- المنذري، المصدر السابق،ج1، ص415.

[9]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، جص379

وكذلك الشيخة بنت إسماعيل القرشية الإسكندرانية، والتي سمعت الحديث من والدها وأجاز لها جماعة من خراسان وأصبهان وبغداد، وقد حدثت بالإسكندرية[1].

كما صنف علماء الحديث في هذه الفترة مؤلفات كثيرة من كتب وشروح ومختصرات ومن أهمها:

كتاب الترغيب والترهيب للمنذري في مجلدين [2]، كما قام بشرح الجمع بين الصحيحين للحُميدي وصاحبه أبو علي النعماني الفارسي [3]، وله أيضا مختصر مسلم، ومختصر سنن أبي داوود وعليه حواشي مفيدة [4]، ولزين الدين علي شرح على صحيح البخاري يعد من أعظم الشروح ولابن منير الإسكندراني مناسبات تراجم البخاري[5]،

د/ الفقه:

وهو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والإباحة وهي متلقاة من الكتاب والسنة، وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه[6].

عرف علم الفقه نشاطا كثيرا في مصر، فبعد أن اندثر فقه الشيعة الذي كان سائدا في أيام العبيديين، حلت مكانه المذاهب الفقهية السنية.

1- المذهب الشافعي:

يحتل مقدمة المذاهب، والذي انتشر في مصر بشكل واسع، وذلك لكون حكام الدولة الأيوبية على هذا المذهب، وقد ظهر فقهاء كبار يحملون هذا المذهب منهم: الفقيه عز الدين بن عبد السلام السُلمي(ت/660هـ) الذي قدم مصر وأقام بها عشرين سنة، برع في المذهب وفاق فيه الأقران[7].

=10- درية عوني وآخرون، الأكراد في مصر عبر العصور، ط1، د.ن، القاهرة، 2011، ص57.

1- المنذري، المصدر السابق، ج1، ص406.

2- ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص479.

3- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص314.

4- ابن العماد، المصدر نفسه، ج7، ص479.

5- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص316، 317.

6- عبد الرحمان بن خلدون(ت/808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في ديوان العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر ، مر: سهيل زكار، ج1، د.ط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيـــع بيروت، 2001 ص563.

7- ابن كثير، طبقات الشافعية، المصدر السابق، ج2، ص797.

وقد كان الناس يقصدونه من الأماكن البعيدة من أجل استفتائه [1]، وكذلك أبو الفتح الطوسي(ت/596هـ) الذي قدم مصر، فنشر بها المذهب وعليه مدار الفتوى في المدهب [2]، وتقي الدين مظفر بن عبد الله المصري(ت /612هـ) والذي كان يدرِّس المذهب، وتخرّج على يده جماعة من القاهرة والإسكندرية[3].

ولقد ترك فقهاء الشافعية بمصر في تلك الفترة إرثا علميا كبيرا، تمثل في كثرة المؤلفات والشروح ومن الفقهاء الذين ألفوا في هذا الجانب نجد: عثمان بن درباس الكردي(ت/622هـ) صاحب كتاب "الإستقصا في شرح المهذب" [4]، ونجم الدين الخيوشاني الذي ألّف "تحقيق المحيط في شرح الوسيط" في ستة عشر مجلدا[5]، وأمين الدين مظفر بن محمد التبريزي (ت/621هـ) الذي صنف كتابا في الفقه في ثلاث مجلدات سماه "سماط سمط الفوائد"[6].

2- المذهب المالكي:

لقد وجد عدد معتبر من فقهاء المالكية بمصر أيام الأيوبيين خاصة إذا ما علمنا أن مصر كانت على المذهب المالكي قبل قدوم الإمام الشافعي إلى مصر [7]، ولقد لقي فقهاء المالكية نفس المعاملة التي لقيها فقهاء الشافعية من طرف الحكام، فقد قام صلاح الدين ببناء مدرسة للفقهاء المالكيين [8] ومن أعلام المالكية في تلك الفترة: أبو طاهر إسماعيل بن مكي(ت /581) الذي تفقه عن الطرطوشي وروى عنه الموطأ[9]، وبرع في المذهب وتخرج به الأصحاب، وقصده السلطان صلاح الدين وسمع منه الموطأ، والفقيه زين الدين علي الذي قال عنه ابن فرحون: كان له أهلية الترجيح والاجتهاد

---

[1]- ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج7، ص442.

[2]- ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص ص534، 535.

[3]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص410.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص408.

[5]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص204

[6]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر نفسه، ج1، ص410.

[7]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص196.

[8]- صبحي عبد المنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص258.

[9]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج21، ص122.

في مذهب مالك[1]، وكذلك شيخ المالكية عبد الله ابن شاس(ت /616هـ) صاحب كتاب "الجواهر الثمينة في المذهب، إضافة إلى العلامة الفقيه صاحب المصنفات أبو عمرو عثمان ابن الحاجب الكردي(ت/646هـ)، والذي صنف "المختصر في الأصول" و "منتهى السؤال في الأصول و"المختصر في الفقه"[2].

3- المذهب الحنفي:

كان مذهب الإمام أبو حنيفة منتشرا في مصر منذ أن حكمت الدولة الإخشيدية هناك، فمال الناس إليه، كما كان نور الدين زنكي حنفيا، فنشر مذهب أبي حنيفة ببلاد الشام، ومنها انتقل فقهاء المذهب الحنفي إلى مصر، وبنى لهم السلطان صلاح الدين المدرسة السيوفية بالقاهرة[3].

وعلى غرار المذاهب الأخرى فإن المذهب الحنفي كان يدرّس بمصر، حيث نهض بهذا المذهب فقهاء منهم: عبد الله بن محمد الجريري(ت /548هـ) الذي كان يدرِّس بالمدرسة السيوفية رفقة عبد الوهاب الحنفي(ت /599هـ) وعبد الرحمان بن محمد اللخمي(ت /643هـ) الذي كان متبحرا في مذهب أبي حنيفة[4].

4- المذهب الحنبلي:

لم تعرف مصر في فترة حكم الأيوبيين عددا كبيرا من فقهاء الحنابلة، وفي هذا الصدد يقول السيوطي:« **هم بالديار المصرية قليل جدا، ولم أسمع بخبرهم فيها إلا في القرن السابع هجري وما بعده، وذلك أن الإمام أحمد لم يبرز مذهبه خارج العراق إلا في (ق 4هـ)، وفي هذا القرن ملك العبيديون مصر وأفنوا من كان بها من أئمة المذاهب الثلاثة، وأقاموا مذهب الرفض والتشيع، ولم يزالوا إلى أواخر (ق6هـ)، فتراجعت إليها الأئمة من سائر المذاهب** »[5].

---

[1]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج1، ص317، 453.

[2]- المصدر نفسه، ج1، ص ص454، 456

[3]- صبحي عبد المنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص258.

[4]- السيوطي، المصدر نفسه، ج1، ص ص464، 465.

[5]- المصدر نفسه، ج1، ص480.

هـ/ علم الكلام:

هو علم يتضمن الحِجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية [1]، أو هو البحث في أمور العقيدة الإسلامية مثل: توحيد الله، والكلام في ذاته سبحانه وتعالى، وصفاته وأفعاله، ثم عرض هذه المسائل على مقاييس العقل والمنطق في معرض جدلي كلامي منطقي.

وكان علم الكلام من أكبر البدع في الإسلام، وقد شدد النكير على هذا العلم أهل الحديث [2] ويعتبر المذهب الأشعري من المذاهب التي استعانت بعلم الكلام في تثبيت عقائدها، فلما انتهوا من تقرير مذهبهم بالاستعانة بالمنطق والفلسفة راحوا يهاجمون كل من يشتغل بالفلسفة[3].

وعرف عن حكام الأيوبيين حملهم للمذهب الأشعري، فلقد كان صلاح الدين منذ صغره على هذا المذهب، وكان يحفظ عقيدة ألفها له قطب الدين أبو المعالي مسعود بن محمد النيسابوري وصار يحفظها صغار أولاده، فلذلك عقدوا الخناصر وشدوا البنان على مذهب الأشعري، بل كانوا لا يعرفون غيره، وحملوا في دولتهم كافة الناس على التزامه، فتمادى الحال على ذلك جميع أيام بني أيوب[4].

ولقد كانت الدولة الأيوبية حازمة في معاملة المشتغلين بعلم الكلام، فلا تتهاون في تعقبهم وقتلهم، ولا تتقبل منهم جدلا، ولا ترضى منهم عملا[5].

ولهذا كان عدد المتكلمين قليلا جدا في مصر ومنهم: الفخر الفارسي(ت /622هـ) الذي له مصنفات في الأصول والكلام، فيها انحراف بيِّن عن السنة [6]، والسيف الآمدي(ت/631هـ) الذي له مصنفات منها: "أبكار الأفكار في الكلام"، و"دقائق الحقائق في الحكمة"، و"إحكام الأحكام في أصول الفقه"، قال عنه ابن كثير:«**رموه بفساد العقيدة، والله أعلم بصحة هذه الاتهامات** »[7].

---

[1]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص580.

[2]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص ص432، 433.

[3]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص338.

[4]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج4، ص192.

[5]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص334.

[6]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج22، ص180.

[7]– ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج17، ص214.

المطلب الثاني: العلوم اللغوية والاجتماعية

أ/ علوم اللغة العربية وآدابها:

1/ علم اللغة والنحو:

تعريف اللغة: اللغة هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم[1].

تعريف النحو: هو علم يعرف به كيفية التركيب العربي صحة وسقما، وما يتعلق بالألفاظ من حيث وقوعها فيه[2]، يقول ابن خلدون في معرض حديثه عن القواعد التي تم وضعها لتقويم اللسان العربي « **وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدوها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو** »[3]

لا يمكن لأي واحد من علماء الفقه والحديث والتفسير أن يستغني عن اللغة والنحو لفهم العلم الذي يشتغل به، لذا كان اهتمام العلماء المصريين في تلك الفترة كبيرا جدا بعلمي اللغة والنحو ومن العلماء الكبار الذين برزوا في هذا الجانب، نجد في مقدمتهم: أبو محمد بن عبد الله بن بري المصري النحوي(ت /582هـ) والذي قصد من الآفاق لتحقيقه وتبحره، وقد اطلع على أكثر كلام العرب[4]، وكان عالما بكتاب سيبويه[5] وعلله، وبغيره من الكتب النحوية، فله جواب المسائل العشر التي سأل عنها أبو نزار ملك النحاة [6]، كما كان ابن بري قيّما باللغة وشواهدها، حيث عمل على تصحيح أخطاء اللغويين، فوضع حاشيتين على الصحاح للجوهري، استدرك فيها كثيرا مما فات الجوهري[7].

---

[1]– السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، ج 1، د.ط، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986، ص7.

[2]– صديق بن حسن القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص560.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص754.

[4]– ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص449.

[5]– أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه، إمام النحاة، وكان في بدايته يصحب المحدثين والفقهاء، لزم الخليل بن أحمد، فبرع في النحو(ت/180هـ)؛ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج13، ص606.

[6]– أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت/624هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 2، ط1، دار الفكر العربي مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، بيروت، 1986، ص111.

[7]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص232.

وإلى جانب ابن بري هناك عالم لغوي ونحوي كبير وهو أبو الحسن يحي بن عبد المعطي الزواوي(ت /628هـ) نسبة إلى قبيلة زواوة ببجاية، ويعتبر ابن معطي أحد أئمة عصره في اللغة والنحو[1]، ولقد تصدر ابن معطي الإقراء بمصر، وتخرّج به أئمة، يقول المنذري:« **ولنا منه إجازة** »[2]

وكان لابن معطي مصنفات كثيرة ومفيدة منها: "الدرة الألفية في علم العربية والنحو"، والمعروفة بألفية ابن معطي، وعدتها ألف بيت، وعلى نسقها نظمت ألفية ابن مالك، فقد كانت طريقة العلماء في ذلك أنهم يكتبون النحو أو غيره نثرا ثم يصوغون ما كتبوه بعد ذلك في صيغة النظم [3]، وله أيضا مصنفات أخرى في النحو مثل: "كتاب الفصول"، و "كتاب على حواش ابن السراج" و"شرح الجمل"، وغيرها[4].

أما مساهمة ابن معطي في اللغة، فتمثلت في نظم كتاب "الصحاح" للجوهري، ونظم كتاب "الجمهرة" لابن دريد في اللغة[5].

أما ثالث العلماء الكبار في اللغة والنحو، والذي يعتبر رأسا في العربية فهو أبو عمرو عثمان ابن الحاجب الكردي(ت /646هـ) الذي تخرج به الأصحاب وسارت بمصنفاته الركبان، قال الذهبي: « **خالف النحاة في مسائل دقيقة، وأورد عليهم إشكالات مفحمة** »[6]، ولقد صنف ابن الحاجب "الكافية"، وهي مقدمة وجيزة في النحو، وأخرى مثلها في الصرف سماها "الشافية" وشرحهما، وعمل نظما للكافية سماه "الوافية في نظم الكافية" وله شرح على مقدمة الزمخشري(ت/538هـ) في النحو[7]، ولقد تأثرت مصر بشخصية كبيرة في علم اللغة والنحو وهو جمال الدين بن محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي(ت/486هـ) نزيل دمشق[8].

---

[1]– أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان، وضع حواشيه خليل المنصور ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ص53.

[2]– المنذري، المصدر السابق، ج3، ص293.

[3]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص220.

[4]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج22، ص324.

[5]– السيوطي، بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج 2، ط1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964، ص344.

[6]– الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر نفسه، ج23، ص265.

[7]– ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تح: أبو النور محمد الأحمدي، ج 2، د.ط، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، د.ت ص88.

[8]– ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص696.

والذي اختصر النحو في منظومات أشهرها "الكافية" في ثلاثة آلاف بيت، ثم خلاصتها وهي المعروفة بـ"الألفية"، وأتقن ابن مالك علم النحو حتى قيل: أنه ما خلى للنحو حرمة، أي يسره للجميع، كما كان ابن مالك المنتهى في اللغة وعرفت كتبه رواجا كبيرا في مصر [1].

2- البلاغة:

وهي الاحتراز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد وتمييز الكلام الفصيح عن غيره، ويندرج تحت هذا العلم: البيان والبديع والمعاني[2].

كانت البلاغة العربية على مذهبين: أولاهما على طريقة العجم وأهل الفلسفة، وثانيهما على الطريقة السهلة وهي طريقة العرب، ويؤكد هذا قول السيوطي:« **ورزقت التبحر في سبعة علوم التفسير..والمعاني والبيان والبديع على طريقة العرب البلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة** »[3].

ولقد كانت البلاغة على طريقة العرب هي المعروفة لدى المصريين، حيث ظهر علماء كانت لهم عناية بهذا الفن منهم: الوزير ضياء الدين نصر الله بن محمد بن الأثير الشيباني الجزري، أخ عز الدين ابن الأثير الذي اشتهر بالتاريخ [4]، تفوق الوزير ضياء الدين في علم البيان، وله كتب في هذا الفن منها: "البرهان في علم البيان" وكتاب "الجامع الكبير في صناعة المنظوم والمنثور"، وأشهر كتاب له "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، بناه على مقدمة ومقالتين، وكان موضوع مقدمة هذا الكتاب هو علم البيان[5].

كما كان لعبد الرحمان بن علي بن شيث الذي عاش زمن صلاح الدين عناية بالبلاغة، فقد كان كاتبا في ديوان الإنشاء، وله كتاب سماه "معالم الكتابة ومغانم الإصابة"، ذكر في الباب الرابع من الكتاب البلاغة وما يتصل بها وشروط البليغ، إضافة إلى زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن أبي الإصبع المصري(ت /654هـ)، ومن مصنفاته كتاب "بديع القرآن"، وكتاب "الجواهر السوائح في سرائر القرائح"، وكتاب في البديع سماه "تحرير التحبير[6].

---

[1]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص ص223←225.

[2]- صديق بن حسن القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص127.

[3]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص262.

[4]- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدرالسابق، ج23، ص72.

[5]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص253.

[6]- المرجع نفسه، ص ص255، 257.

3- الأدب: وهو الإجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم[1].

اتسم الأدب المصري في العهد الأيوبي بالتنوع والغزارة، وكان ذلك نتيجة لعدة أسباب أهمها الحروب الصليبية التي كان لها انعكاس إيجابي على الحركة الأدبية في مصر، فالدولة الأيوبية اعتمدت في جهادها ضد الصليبيين على السيف والقلم، فكان أدباء ذلك العصر لا يدخرون نثرا ولا نظما في سبيل إعلاء كلمة المسلمين، إلى جانب التشجيع المستمر من طرف الحكام للأدباء، إضافة إلى سبب آخر مهم يتمثل في وجود أدباء كبار في تلك الفترة[2].

أ/ أقسام الأدب:

1- الشعر: وهو الكلام الذي قُصد إلى وزنه وتقفيته قصدا[3].

لقد احتل الشعر مكانة مرموقة في نفوس المصريين في تلك الفترة، بحيث تنوعت مجالاته وأغراضه والشعر العربي في الغالب ينقسم إلى قسمين:

أ/**شعر المناسبات:** وهو الشعر الذي يكوم موجها إلى الطبقة الحاكمة، فيتأثر بحياة الحكام والدواوين ولا مفر له من ذلك بجزالة اللفظ والتصنع والتكلف في المعنى، ويتقيد بالفن في أعلى مراتبه.

ب/**الشعر الشخصي:** وهو الذي يعبر فيه الشاعر عن المشاعر التى تختلج قلبه، ويميل إلى البساطة والتحلل من قيود الصنعة اللفظية، إلا ما أتى منها بعفو الخاطر[4].

أما الشعر المصري فبالإضافة أنه كان على قسمين، كان كذلك على مذهبين:

_ **مذهب البديع:** ومنهم من سماه المذهب الفاضلي زعيم الحركة الأدبية في زمانه، ومن أمثلة شعر البديع قول الفاضل:

فيهن من شبه الغزال أربعـــــــــة نفر وطيب وأحداق وأجياد

وقد بكت لظني العشاق أربـــعـــــة صــبٌ وفرس وسُمّار وعوادٌ

هيهات هيهات يصدق منك الظن أربعة عهـــــد وود وأقوال وميعــاد

وبهذه الطريقة نظم الفاضل أربعة وأربعين بيتا في نهاية الشطر الأول من كل بيت لفظ أربعة وفي الشطر الثاني بيان لهذه الأربعة[5]

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص763.

[2]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص273.

[3]- صديق بن حسن القنوجي، المرجع السابق، ج2، ص341.

[4]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص107. =

_**مذهب المعاني** : وهو الذي لا تهمه الصنعة بقدر ما يهتم بالمشاعر والأحاسيس ومثاله قول الشاعر البهاء بن زهير [1]:

وأذكر أيام الحجاز فأنثني كأني صريع يعتريه خباله[2]

أما حال الشعراء تلك الفترة فقد تعددت ألوانهم ومذاهبهم، فهمنهم من اتخذوها حرفة، ومنهم من جعلوها أداة يعبرون بها عن مشاعرهم، ومنهم من قالوا الشعر لما رأو أنه يرفع من أقدارهم[3].

وقد كان شعر تلك الفترة يخضع للنقد، فمثلا نجد أن لعلي ابن إسماعيل السخاوي(ت /632هـ) كتابا في نقد الشعر سماه "نظم الدرر في نقد الشعر"، قصره على مؤاخذات ابن سناء الملك[4].

أما فيما يخص أغراض الشعر التي استعملها الشعراء فقد تنوعت وتلونت، ومن أهم أغراض الشعر آنذاك:

المدح: وهو أكثر الأغراض الشعرية المستعملة، وقد حافظت قصيدة المدح على نهجها يومئذ فكان الغالب ابتداؤها بالغزل والتخلص منه إلى المدح، وأحيانا يكون العكس[5]

ويعتبر صلاح الدين أكثر شخصية نالت مدح الشعراء، فقد مدحه نحو خمسين شاعرا[6]، ومن الذين مدحوا صلاح الدين أبو الحسن علي بن الساعاتي[7] يوم فتح طبرية، فقال:

جَلت عزماتُك الفتح المبينا فقد قرت عيون المؤمنينا

رددت أخيذة الإسلام لها غدا صرف القضاء بها ضمينا

وهان بك الصليب وكان قدما يعز على العوالي أن يهونا

يقاتل كل ذي ملك رياء وأنت تقاتل الأعداء دينا[8]

= [5]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص114.

[1]- محمد بن علي بن يحي القوصي، ولد سنة(581هـ) بمكة، له ديوان مشهور باسمه كتب الإنشاء للملك الصالح نجم الدين، ت(656هـ) بمصر.

[2]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري المرجع نفسه، ص136.

[3]- أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص122.

[4]- المرجع نفسه، ص203.

[5]- المرجع نفسه، ص118.

[6]- نفسه، ص73.

[7]- بهاء الدين علي بن محمد بن رستم بن الساعاتي، صاحب ديوان الشعر(ت /604هـ)، انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21 ص471.

[8]- أبو شامة، المصدر السابق، ج3، ص196.

الرثاء: كان فن الرثاء حاضرا بقوة في تلك الفترة، ورثى المسلمون كل حبيب وقريب إلى قلوبهم ومن ذلك رثاء العماد لصلاح الدين بقصيدة بلغت مائتين واثنين وثلاثين بيتا منها قوله:

بالله أين الناصر الملك الذي لله خالصة صفت نياته

أين الذي مازال سلطانا لنا يرجى نداه وتتقى سطواته

أين الذي شرف الزمان بفضله وسمت على الفضلاء تشريفاته

أين الذي عنت الفرنج لبأسه ذلا ومنها أدركت ثاراته[1]

الوصف: الجدير بالذكر أن شعر الوصف كان قليلا مقارنة بالأنواع الأخرى، ومرد هذا أن الشعر في تلك الفترة كان يعيش في كنف الملوك والأمراء، فلم يتفرغ الشعراء إلى الطبيعة، ومن شعر الوصف قول ابن سناء الملك وهو يصف جيش صلاح الدين :

أتى إليها يقود البحر ملتطما والبيض كالموج والبيضات كالحبب

تبدو الفوارس منه في سوابغها بين النقيضين منماء ومن لهب[2]

السخرية والاستهزاء: وكان هذا اللون من الشعر يستعمل كثيرا في الرد على الصليبيين، ومن ذلك قول جمال ابن مطروح للملك لويس الذي حاول دخول القاهرة، في فترة حكم الصالح أيوب:

قل للفرنسيس إذا جئتـــــه مقال نصح من قول نصيـح

أتيت مصر تبتغي ملكهـــا تحسب أن الزمر يا طبل ريح

ألهــمك الله لمثـلهـــــــــا لعل عيسى منكم يستريـح[3]

كما حافظ الشعراء على ما ورثوه من أوزان الشعر والقافية، وأضافوا إلى ذلك أوزان أخرى مثل: أوزان الموشح والدوبيت والمواليا، وقد كان ابن سناء الملك مكثرا في استعمال الموشحات، ووجد في أوزانها المتنوعة متنفسا للتعبير عن عواطفه، وألف فيها كتابا دعاه "دار الطراز"[4].

---

[1]–ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق، ج16، ص654

[2]– أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص179.

[3]– المقريزي، السلوك، المصدر السابق، ج1، ص460.

[4]– أحمد بدوي، المرجع السابق، ص201.

ومثال ذلك قوله في موشح يرثي فيه أمه:

يا ما عرا قلبي يا ما دهاه مضى نهاه

لما نهاه الوجد مع من نهاه

ما زال لي منذ دهاني الزمان

أسى شجـــــاع واصطبار جبـــــان

إلى أن قال: حزني على أمي حزن شديـــــــــــد

تبلى الليالي وهو غض جديـــــد

فقل لنار قلبي هـــل من مزيـــــد

وقل لصرف الدهر هل من محيـــد[1].

الغزل: رغم أن تلك الفترة تميزت بالحروب والمآسي التي حلت بالمسلمين، إلا أن الغزل لم يغب عن أغراض الشعر، وكثير من الشعراء كانوا يتغزلون في أشعارهم منهم: أسامة بن منقذ، الذي له شعر في الغزل، قال فيه:

صاحبهم بترفق ما أصحبـــــــوا وتجاف عن تعنيفهم إن أذنبوا

ودع العتاب إذا بدت لك زلة إن الهـوى مُتجرم لا يُعتب

واحمل لهم جور المـــــــلال وحمله صعب ولكن القطيعة أصعب[2]

كما كان الشعر الصوفي حاضرا بقوة في هذه الفترة، ويشبه الشعر الصوفي الشعر الغزلي فقد استخدم الصوفية لغة الحب في شعرهم مثل: ابن الفارض [3] الذي له التائية الكبرى، والتي يتحدث فيها بلسان الصوفي الذي وصل إلى مقام الإتحاد[4]،

---

[1]– أحمد محمد عطا، ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية(447/648هـ)، د.ط، مكتبة الآداب، القاهرة، 2001، ص ص123، 124.

[2]– أسامة بن منقذ، ديوان أسامة بن منقذ، تح: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، ط 2، عالم الكتب، بيروت، 1983، ص51.

[3]– أبو القاسم عمر بن علي المعروف بابن الفارض، اشتغل في البداية بالفقه، ثم سلك طريق التصوف ت(632هـ)، أنظر: ابن العماد، المصدر السابق ج7، ص261.

[4]– أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص96.

قال الذهبي عنها: « **فإن لم يكن في تلك القصيدة صريح الإتحاد الذي لا حيلة في وجوده فما في العالم زندقة ولا ضلال، اللهم ألهمنا التقوى** »[1].

إضافة إلى وجود فنون أخرى للشعر مثل: الحنين والمجون، والذي كان قليلا أيام الدولة الأيوبية[2].

2- النثر: الكلام الجيد يرسل بلا وزن ولا قافية وهو خلاف النظم[3].

لم يكن النثر أقل عزما من الشعر، وذلك لوجود كتاب كبار ولوا أمر ديوان الإنشاء، فكانت أقلامهم آمنة وكلماتهم مشهورة، ولهم قدرة على وصف الكلام وتحبيره حتى يهز النفوس الضعيفة[4].

ولقد تعددت ألوان الكتابة في مصر الأيوبية فمنها:

أ/ **الرسائل السلطانية:** أو الديوانية الصادرة عن ديوان الإنشاء، والتي تتعلق بشؤون الدولة وأمور السلطان، فتشمل بيعات الخلفاء وولاة العهود، القضاء، شؤون السفارات ..إلخ [5]، ولابد لهذه الرسائل أن تتوفر فيها القيم الفنية، ما لا يمكن توفره في الرسائل الأخرى[6].

وكمثال لما ذكرنا نسوق جزءا من رسالة الفاضل إلى الخليفة العباسي يبشره فيها بفتح القدس فيقول:« **.. فبيوت الشرك مهدومة، ونيوب الكفر مهتومة، وطوائفه المحامية مجتمعة على تسليم البلاد الحامية .. وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وبدل الله مكان السيئة الحسنة، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة** »[7].

---

[1]-الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج22، ص368.

[2]- أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص101.

[3]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، ج2، د.ط، دار الدعوة، القاهرة، د.ت، ص901.

[4]- سلطان عبد الرؤوف الحريري، المرجع السابق، ص31.

[5]- أحمد بدوي،الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص303.

[6]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص180.

[7]- المرجع نفسه، ص182.

ب/ **الرسائل الإخوانية:** وهذه الرسائل تتحدث عن العواطف الشخصية، وهي قليلة مقارنة بالنوع السابق وقد جمع ابن سناء الملك ما دار بينه وبين القاضي الفاضل من رسائل في مجموع سماه "فصوص الفصوص وعقول العقول"[1].

ج/ **الخطابة:** وهي قسم من أقسام النثر، ولون من ألوانه الفنية، وهي وسيلة مهمة تستخدم في مخاطبة الناس، والتأثير عليهم واستمالتهم، ولقد كان الخطيب محل احترام وتقدير كبير لدى أفراد المجتمع وتتميز الخطبة عن باقي الكتابات الأخرى من حيث التأنق في الكلام، وكثرة الاقتباس من القرآن والأحاديث والاستشهاد بالشعر، ومن المؤسف أن أكثر خطب تلك الفترة مفقودة[2].

ولقد عرفت مصر خطباء كبار آنذاك، من أبرزهم نجد: ابن نجا [3]، وعز الدين بن عبد السلام وشمس الدين محمد بن أبي المعصناء أول من خطب بمصر لبني العباس في عهد صلاح الدين[4].

د/الأدب التاريخي: ويقصد به كتابة التاريخ بأسلوب يلتزم فيه السجع غالبا، كما فعل ابن العماد في كتابيه: سنا البرق الشامي، والفتح القسي [5]، ومثال ذلك ما أورده ابن العماد في كتابه الفتح القسي وهو يصف معركة حطين، فيقول: « **وحطت حطين تلك الجيف عن متنها، وطاب نشر النصر بنتنها، وعبرت بها فلقيت أشلاء المشلولين في الملتقى، ملقاة بالعراء عراة، ممزقة بالمازق مفصلة المفاصل، مفرقة المرافق .. ولقد رأيت في جبل واحد ثلاثين وأربعين يقودهم فارس، وفي بقعة واحدة مائة ومائتين يقودهم حارس** »[6].

إضافة إلى وجود ألوان نثرية أخرى مثل: النثر الوصفي والأدب القصصي بقسميه الشخصي والشعبي، كما وجدت بعض الكتب الأدبية والتي أخذت طابع تهذيبي، ككتاب "لباب الآداب" لأسامة بن منقذ، وكتاب "المنهج المسلوك في سياسة الملوك" لأبي الفضائل عبد الرحمان بن عبد الله والذي ألفه لصلاح الدين[7].

---

[1]– أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص313

– أحمد بدوي، المرجع نفسه، ص380.

[2]– الإمام الجليل الواعظ زين الدين أبو الحسن علي ابن إبراهيم بن نجا، ولد بدمشق سنة(508هـ)، وكان معظما عند صلاح الدين ت(599هـ) أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص393.

[3]– أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع نفسه، ص380 ومابعدها.

[4]– أحمد النجار، المرجع السابق، ص230.

[6]– العماد الأصفهاني، المصدر السابق، ص50، 51.

[7]– أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع نفسه، ص315.

ب/ العلوم الإجتماعية:

لم يكن اهتمام المصريين آنذاك منصبا على العلوم الدينية والأدبية فقط، وإنما كان لهم أيضا عناية بكتابة التاريخ وتدوين الرحلات الجغرافية.

التاريخ: كانت الكتابة التاريخية في تلك الفترة على أصناف منها:

أ/**كتب التراجم:** اهتم كتاب هذا الصنف بالترجمة لشخصيات بارزة في تلك الفترة أو حتى فترات سابقة، ومن المؤرخين الذين ألفوا في هذا الجانب العماد الكاتب، الذي ألف كتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" وهو كتاب يترجم فيه لتاريخ سبع سنوات من حياة السلطان صلاح الدين[1]، وله أيضا كتاب آخر في نفس الصنف وهو كتاب "سنا البرق الشامي"، في سبع مجلدات، حيث بدأ الكتاب بترجمة لنفسه، ثم ذكر بعض الفتوح الشامية، ثم بسط أخبار صلاح الدين[2].

وهناك كتاب آخر يترجم لشخصية صلاح الدين، وهو كتاب "النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية" لصاحبه ابن شداد[3].

ولم تهتم كتب التراجم بالشخصيات السياسية فقط، بل كانت هناك تراجم لطبقات أخرى مثل: "خريدة القصر وجريدة العصر" للعماد الكاتب، وخصه لترجمة أدباء ق(6هـ)[4]، وكتاب آخر لابن أبي أصيبعة[5] يترجم فيه للأطباء سماه "عيون الأنباء في طبقات الأطباء"[6].

وهناك أيضا كتاب تراجم متنوعة للمؤرخ ابن خلكان [7]، وهو "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان"، ويضم حوالي ثلاثمائة ترجمة[8].

---

[1]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع السابق، ص230.

[2]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص294.

[3]- المرجع نفسه، ص294.

[4]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع نفسه، ص223.

[5]- أبو العباس أحمد بن القاسم بن خلفة الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة، الحكيم الفاضل، صاحب المصنفات في الطب والأدب والتاريخ، وله شعر كثير (ت/ 668هـ)؛ أنظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج7، ص200.

[6]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع نفسه، ص294.

[7]- أبو العباس أحمد بن محمد ابن خلكان، ولد سنة(ت /608هـ)، برع في الفضائل والآداب، سكن مصر مدة، وكان كريما جوادا عارفا بأيام الناس (ت /681هـ)؛ أنظر: الذهبي، العبر، المصدر السابق، ج3، ص374.

[8]- عبد اللطيف حمزة، الأدب المصري، المرجع نفسه، ص225.

وهناك صنف آخر من الكتب، اختصت بكتابة تاريخ الدولة المصرية مثل: كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" لأبي شامة المقدسي [1]، وقد مزج في كتابه هذا الأدب بالتاريخ مزجا لطيفا، وكذلك كتاب "مفرج الكروب في أخبار بني أيوب" لابن واصل [2] أقل المؤرخين عناية بتكلف البديع [3]، إضافة إلى كتاب "النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية" لعمارة اليمني[4]، والذي اهتم كذلك بالتأريخ للدولة المصرية[5].

وهناك صنف ثالث من الكتابات التاريخية، وإن كانت قليلة مقارنة بالكتب السابقة وهي التي اهتمت بالتاريخ العام مثل: كتاب ابن الراهب القبطي(ت /681هـ)، والذي خلف كتابا في التاريخ العام اهتم به الفرنج[6].

ويوجد كذلك من المؤرخين من ألف كتابا حول سيرته الذاتية مثل: عمارة اليمني [7] وأسامة بن منقذ[8] الذي له كتاب سماه "الإعتبار" وهو عبارة عن سيرة ذاتية لحياته[9].

---

[1]– الشيخ شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة، هو إمام وحافظ ومحدث وفقيه ومؤرخ قتل الشيخ سنة(665هـ)؛ أنظر: ابن كثير، البداية والنهاية، المصدر السابق ج17، ص472.

[2]– جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سالم بن واصل الحموي الشافعي، كان إماما عالما بعلوم كثيرة، مداوما على الاشتغال والتفكر في العلم ت(697هـ)؛ أنظر: ابن العماد، المصدر السابق، ج7، ص766.

[3]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص231.

[4]– عمارة بن علي بن زيدان اليمني، نزيل مصر، وشاعر العصر، تعصب للعبيديين ورغب في إعادة دولتهم، فدبروا مؤامرة ضد صلاح الدين الذي اكتشفها، فشنقه رفقة جماعته سنة(569هـ)؛ أنظر: ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص387.

[5]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص524.

[6]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص294.

[7]– حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ج4، ص524.

[8]– أبو المظفر أسامة بن الأمير مرشد الشيرزي، ولد سنة(ت /488)، وكان إماما حسن العقيدة، له ديوان كثير في الشعر (ت/584هـ)؛ أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، المصدر السابق، ج21، ص166.

[9]– حازم فارس علي، المرجع السابق، ص113.

ب/الرحلات الجغرافية:

لقد كان الجغرافيون قلة في هذه الفترة عكس المؤرخين، ومن أهم الكتابات الجغرافية التي ظهرت آنذاك: رحلة ابن جبير[1]، وهي الرحلة التي سافر من خلالها إلى المشرق ثلاث مرات، وقصد القاهرة ثم الإسكندرية، وصنف خلال رحلته الأولى ما شاهده من عجائب البلدان وغرائب المشاهد وبدائع المصانع[2]، وهناك أيضا رحالة آخر كانت له مساهمة كبيرة في هذا الجانب وهو شهاب الدين ياقوت الحموي[3]، الذي له كتاب معجم البلدان، والذي يعد من أهم المصادر الجغرافية التي يعتمد عليها الباحثون[4]، وللقزويني[5] كتاب يشتمل على كثير من المعلومات الجغرافية وهو كتاب "آثار البلاد وأخبار العباد"[6].

إضافة إلى كتاب آخر يهتم بمعاينة أرض مصر لعبد اللطيف البغدادي[7]، سماه "الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر[8].

---

[1]- أبو الحسين محمد بن جُبير البلنسي، نزيل شاطبة، ولد سنة(640هـ)، عني بالآداب فبلغ فيها الغاية، وتقدم في صناعة النظم والنثر، توفي في رحلته الثالثة إلى المشرق بالإسكندرية سنة(614هـ)؛ أنظر: الذهبي، العبر في خبر من غبر، المصدر السابق، ج 3، ص163.

[2]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص548.

[3]- أبو الدر شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، اشتغل بالتجارة فمكنته كثرة الأسفار من الإطلاع على بلدان كثيرة، واشتغل بالنسخ وحصلت بالمطالعة فوائد، ، (ت /626هـ) بحلب؛ أنظر: ابن العماد، المصدر السابق ج7، ص219.

[4]- حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ج4، ص549.

[5]- زكريا بن محمد بن محمود القزويني، ولد بمدينة قزوين بإيران سنة(600هـ)؛ أنظر: حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ج 4، ص550.

[6]- حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ج4، ص550.

[7]- أبو محمد موفق الدين بن عبد اللطيف ابن الفقيه يوسف البغدادي، ولد ببغداد سنة(557هـ)، غلب عليه علم الطب والأدب وبرع فيهما، وله مصنفات كثيرة، ت(629هـ) ببغداد.

[8]- حسن إبراهيم حسن، المرجع نفسه، ج4، ص550.

المطلب الثالث: العلوم التجريبية

عرفت مصر في العهد الأيوبي تداول بعض العلوم التجريبية والتي لم تكن في نفس النشاط الذي عرفته العلوم الدينية واللغوية بإستثناء الطب، ذلك أن الأيوبيين أولوا إهتماما كبيرا بالعلوم التي تعين على فهم الدين الإسلامي، أما العلوم التي تهتم بالجوانب الحياتية فقد كانت تعتبر علوم ثانوية لايطرق بابها إلا عند الحاجة، ومن جملة العلوم التجريبية التي كانت منتشرة أنذاك مايلي:

أ/علم الطب: وهو علم يبحث فيه عن بدن الإنسان من جهة مايصح ويمرض لحفظ الصحة وإزالة المرض [1]

كان الطب على رأس العلوم العقلية التي إزدهرت أيما إزدهار في مصر زمن الأيوبيين بحيث بنيت البيمارستانات التي كان لها أثر كبير على تطور علم الطب في مصر أنذاك، إضافة إلى وجودأطباء كبار إشتهرت أسمائهم في تلك الفترة ومنهم:

أبو البيان بن المدور اليهودي (ت 580هـ) الذي خدم صلاح الدين وكان السلطان يحسن فيه الظن، ولقد عمر أبو البيان وتعطل آخر عمره فأطلق صلاح الدين له في كل شهر أربعة وعشرين دينار مصري وبقي على ذلك وراتبه يصل إليه نحو عشرين سنة، ورغم أن الطبيب كان على ذلك الحال إلا أن التلاميذ كانوا يقصدونه لدراسة الطب عليه، وحتى المرضى كانوا يذهبون إليه للتداوي[2]

وهناك أيضا عالم وطبيب بارع إشتهر في مصر وهو أبو العشائر هبة الله بن جميع الإسرائيلي (ت592هـ)، وقد عرف عن هذا الطبيب إجتهاده الكبير في صناعة الطب، حيث قرأ على الشيخ الموفق أبي نصر عدنان بن العين زربي (ت 548هـ) ولزمه مدة، ودخل ابن جميع في خدمة صلاح الدين بن أيوب وكان رفيع المنزلة عنده[3].

ولقد سعى ابن جميع إلى إدخال بعض التنظيمات على مهنة الطب وذلك بعد ملاحظته للأخطاء التى كانت تصدر من بعض الأطباء فاقترح على صلاح الدين أن لايكون التعليم نظريا بالإعتماد على القراءة بل يجب أن يكون عمليا أيضا، ويكون التطبيق فيه على مرضى البيمارستانات وأن لايجاز الطالب بممارسة الصنعة إلا بعد إجتيازه إمتحانا يثبت جدارته بعلوم المهنة

---

[1]- صديق بن حسن القنوجي، المرجع السايق، ج2، ص253.

[2]- أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ت 668هـ)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: نزار رضا، د.ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص580.

[3]- نفس المصدر، ص578.

وإقترح دوام مراقبة الأطباء بعد التخرج[1]، وتعتبر مصنفات ابن جميع جيدة التأليف منها:

- كتاب الإرشاد لمصالح الأنفس والأجساد ويحتوي على أربع مقالات
- التصريح بالمكنون في تنقيح القانون، عرض من خلاله ماجاء في كتاب القانون لابن سينا[2]
- مقالة في الليمون وشرابه ومنافعه
- الرسالة السيفية في الأدوية الملوكية[3].

وكان ابن جميع يجلس في داره ليعلم الناشئة صناعة الطب، حيث تخرج على يديه أطباء كبار مثل: داود بن أبي البيان سليمان الإسرائيلي(ت 636هـ)، وكان شيخا محققا للصناعة الطبية متقنا لها، متميزا في علمها وعملها، قال عنه ابن أبي أصيبعة: « **ولقد شاهدت منه حيث نعالج المرضى بالبيمارستان الناصري بالقاهرة من حسن تأنيه لمعرفة الأمراض وتحقيقها وذكر مداواتها والإطلاع على ماذكره جالينوس[4] فيها مايعجز عن الوصف** »[5].

وهناك يهودي آخر إحترف مهنة الطب وهو أبو عمران موسى بن ميمون القرطبي اليهودي (ت1204م) عالم بسنن اليهود ويعد من أحبارهم وفضلائهم وكان رئيسا عليهم في الديارالمصرية[6]ولد وتعلم في قرطبة ودرس على ابن رشد[7]، وابن الطفيل (ت581هـ)، فأتم دراسة المنطق والطب[8]وأقام بالقاهرة سبعة وثلاثين [9]، حيث كان صلاح الدين يستطبه [10]

---

[1]- رحاب خضر عكاوي، الموجز في تاريخ الطب عند العرب، د.ط، دار المناهل، بيروت، 2000،ص274.

[2]- أبو علي الحسين بن عبد الله البخاري، صاحب التصانيف الكثيرة في الفلسفة والطب، ، ولابن سينا أشياء لاتحتمل، وقد كفره الغزالي في كتابه المنقذ من الضلال رفقة الفارابي أنظر: الذهبي، السير، المصدر السابق، ج17، ص535.

[3]- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص579.

[4]-جالينوس طبيب وفيلسوف يوناني، عاش في القرن الثاني ميلادي، يعد أحد أعظم الأطباء في العصور القديمة، لم يجئ من الأطباء إلا من هو دون منزلته ومتعلم منه، ويرجح أنه عاش نحو سبع وثمانين سنة، أنظر: ابن أبي أصيبعة، نفس المصدر، ص109.

[5]- المصدر نفسه، ص584.

[6]- نفسه، ص582.

[7]- أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي، أتقن الطب وأقبل على الكلام حتى صار يضرب به المثل فيها، له تآليف كثيرة، توفي بمراكش سنة 595هـ، أنظر: ابن العماد، المصدر السابق، ج6، ص523.

[8]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص341.

[9]- فاضل أحمد الطائي، علم الكيمياء والصيدلة عند العرب، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، د.ب ، 1987، ص90.

[10]- ابن أبي أصيبعة، المصدر نفسه، ص583.

ولموسى بن ميمون كتب طبية منها:

- إختصار الكتب الستة عشر لجالينوس
- مقالة في البواسير وعلاجها
- مقال في تدبير الصحة
- مقالة في السموم والتحرز من الأدوية القتالة[1].
- كتاب الفصول وعرف بفصول القرطبي أو فصول موسى وترجم إلى اللاتينية[2].

ولم تكن مهنة الطب حكرا على اليهود فقط فهناك أطباء من العرب كانت لهم مساهمة فعالة في علم الطب على إختلاف فنونه، على غرار ابن النفيس (ت /687هـ) شيخ الطب بالديار المصرية، والذي لم يكن في الطب مثله على وجه الأرض ولاجاء بعد ابن سينا مثله، وكان في العلاج أعظم من ابن سينا[3]، وقد عمل ابن النفيس في البيمارستان الناصري وشغل فيه منصب الرئاسة وكان عميدا للمدرسة الطبية الملحقة به[4].

ويحسب لابن النفيس أنه صحح ماكان من أخطاء العلماء السابقين تجاه نظريات طبية كانت سائدة أنذاك، من ذلك نظرية جالينوس الذي يقول بوجود ثقب بين بطيني القلب الأيمن والأيسر، فصحح ابن النفيس هذا الخطأ منه [5] كما نجده ينتقد أراء جالينوس في التشريح، وكذلك أراء ابن سينا الذي قال بأراء جالينوس، حيث وجد من خلال تشريحه للقلب والحنجرة أن هناك صلة بين التنفس والنبض، أوبين التنفس وإنتقال الدم إلى القلب من الرئتين، فأظهر أخطاء جالينوس وابن سينا فيمايختص في تركيب الرئتين ووظيفتهما[6].

إلى جانب ذلك كانت لابن النفيس اكتشافات في ميدان الطب، وذلك من خلال اكتشافه للدورة الدموية الصغرى وسجلها بدقة في كتابه شرح تشريح القانون[7]،

---

[1]- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص583.

[2]- فاضل أحمد الطائي، المرجع السابق، ص90.

[3]- السبكي، المصدر السابق، ج8، ص305

[4]- راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الاسلامية، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009، ص172.

[5]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص33.

[6]- المرجع نفسه، ص58.

[7]- نفسه، ص174

أما بخصوص تصانيفه فله تصانيف فائقة في الطب منها: الموجز في الطب وشرح الكليات وغيرها، وصنف في الطب كتابا سماه الشامل قيل لو تم لكان ثلاثمائة مجلد، تم منه ثمانون مجلد، وكان فيمايذكر يملي تصانيفه من ذهنه[1].

ومن الأطباء كذلك الذين كانت لهم استدراكات على سابقيهم نجد عبد اللطيف البغدادي (ت/629هـ)، الذي بين أن الفك الاسفل قطعة واحدة وليس قطعتين بعن أن فحص أكثر من 2000 جمجمة بشرية وإنتقد بذلك وصف جالينوس للهيكل العظمي[2].

وهناك أطباء حلوا بأرض مصر وخدموا مهنة الطب مثل موفق الدين أحمد بن القاسم المعروف بابن أبي أصيبعة (ت /668هـ)، الذي دخل القاهرة رفقة ابن النفيس وشغل منصب رئيس قسم الكحالة (طب العيون) [3]، وإلى جانب ابن أبي أصيبعة هناك أطباء إهتموا بطب العيون في مصر مثل القاضي فتح الدين أبو العباس(657هـ) والذي كان يلقب برئيس الأطباء المصريين، وقد ألف كتابا في هذا المجال يحتوي على خمس عشرة فصلا في علم الرمد[4]

والملاحظ أن الموضوعات الطبية قد تعددت أنذاك ولم يقتصر الأمر على علاج الإنسان فقط، بل تعداه إلى علاج الحيوان، حيث أصبح هذا العلم فرعا متخصصا من فروع العلاج، ومن التطور العلمي في ميدان الطب البيطري نجد كتب قد ألفت في هذا المجال على غرار كتاب الفروسية الذي ألفة أحمد بن الحسن بن الأحنف سنة 596هـ وهو عبارة عن موسوعة علمية في أمراض الخيل ورعايتها، حيث يتكلم الكتاب عن دراسة أسنان الخيل والصفات العامة للفرس والحمار والبغل، وعن الأمراض الجلدية مثل الجرب والحكة والحروق...إلخ، حيث تدلنا هذه الموضوعات التي يطرقها المؤلف في القرن6هـ عن مدى إهتمام أطباء تلك الفترة بالبيطرة وعلاج الحيوان[5].

---

[1]- السبكي، المصدر السابق، ج8، ص306.

[2]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص59.

[3]- المرجع نفسه، ص172.

[4]- نفسه، ص63.

[5]- نفسه، 129.

ب/علم الصيدلة: هو علم تحضير الدواء، ويتصل علم الصيدلة بعلم النبات إتصالا وثيقا، فكان التداوي بالنبات يسمى الأدوية المفردة، أما التداوي بتركيب أخلاط نباتية كيميائية فيسمى الادوية المركبة أو الأقراباذين وتعتبر الصيدلة علما مكملا للطب[1].

عرف علم الصيدلة تطورا ملحوظا في مصر في العهد الأيوبي، وذلك لإرتباطه الوثيق بالطب، فكثير من الأطباء كانوا صيادلة بل هناك من الأطباء من غلبت عليه مهنة الصيدلة وإشتهر بها أكثر من إشتهاره بالطب، ومن الذين كان لهم دور فعال في النهوض بهذا الفن في تلك الفترة: الطبيب عبد اللطيف البغدادي (ت 629هـ)، فقد قام هذا الطبيب برحلة إلى مصر ألف من خلالها كتاب سماه الإفادة والإعتبار في الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ضمنه مواضيع تطرق فيها عن الحياة النباتية في أرض مصر وقارن بين تلك النباتات وبين ماهو موجود في بعض البلاد الأخرى وقد أدى هذا الإهتمام إلى التعرف على خصائص وصفات جديدة للعديد من النباتات لم تكن معروفة من قبل[2].

كذلك كان للطبيب اليهودي داود بن أبي البيان (636هـ) عناية بعلم الصيدلة حيث يعتبر أقدر أهل زمانه من الأطباء على تركيب الأدوية ومعرفة مقاديرها وأوزانها [3]،كما ألف كتاب في هذا الشأن سماه الدستور البيمارستاني[4].

إلى جانب ذلك قام طبيب آخر وهو رشيد الدين الصوري (639هـ) بمحاولات للإستفادة من الأعشاب حيث كان يخرج إلى المواضع التي بها النباتات ويرافقه في ذلك رسام، فيشاهد النبات ويسجله، ثم يريه للرسام في المرة الأولى وهو في طور الإنبات، ثم يريه إياه في المرة الثانية بعد إكتماله وظهور بذوره، وفي الثالثة بعد نضجه ويبسه، ويقوم الرسام بتصويره في جميع هذه الأطوار[5].

هذا وقد عرفت مصر في العهد الأيوبي بروز شخصية فذة كان لها الدور الكبير في تطوير علم الصيدلة وهي شخصية عبد الله بن أحمد المالقي المعروف بابن البيطار (646هـ)، إمام النباتيين

---

[1]- محمد حبش، المسلمون وعلوم الحضارة، ط1، دار المعرفة، دمشق، 1992، ص33.

[2]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص245.

[3]- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص584.

[4]- أحمد عبد الرزاق أحمد، الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى(العلوم العقلية)، ط 1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991، ص213.

[5]- راغب السرجاني، المصدر نفسه، ص115.

والعشابيين، ولد ابن البيطار في مالقة وتعلم الطب، ورحل إلى بلاد الأغارقة وأقصى بلاد الروم باحثا عن الأعشاب والعارفين بها، حتى كان الحجة في معرفة أنواع النبات وتحقيقه وصفاته وأسمائه وأماكنه[1]،قال عنه ابن أبي أصيبعة: « **كان مايذكر دواء إلا ويعين في أي مقالة هو من كتاب ديسقوريس وجالينوس وفي أي عدد هو من جملة الأدوية المذكورة في تلك المقالة**» [2].

إتصل ابن البيطار بالملك الأيوبي الكامل محمد بن أبي بكر فجعله رئيس العشابين في الديار المصرية، ولما توفي الكامل إستبقاه إبنه الملك الصالح أيوب وحظي عنده وإشتهر شهرة عظيمة [3]. كما عرف ابن البيطار بمؤلفاته العديدة والمفيدة منها:

-كتاب الأدوية ويقع في أربعة أجزاء ويعرف بمفردات ابن البيطار.

- كتاب المغني في الأدوية المفردة مرتب على مداواة الأعضاء[4].

- كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية ويعتبر من أجل كتبه،فقد كان مدار إهتمام العقاقيريين الذين إعتمدوا عليه في البيمارستانات وحوانيت الصيدلة، فقد أخذوا عنه الكثير في مؤلفاتهم ومن هؤلاء كوهين اليهودي، صاحب كتاب **منهاج الدكان**، ويوسف بن إسماعيل البغدادي (ت 751هـ) صاحب كتاب **مالا يسع الطبيب جهله** وهومختصر كتاب ابن البيطار [5].كما ذكر في كتابه هذا مائة وخمسين طبيبا ممن سبقوه، ومجموع الأدوية فيه تصل إلى 1400دواء لم يكن معروفا منها لدى اليونان 400 صنف اضافها ابن البيطار إلى المادة الطبية ، ويعتبر المرجع الأساسي لكتاب الجامع كتاب أحمد الغافقي (ت550هـ) [6].

هذا وقد ذكر ابن البيطار في كتابه ماهية تلك الأدوية وقواها ومنافعها ومضارها وإصلاح ضررها والمقدار المستعمل من جرعها والبدل منها[7].

---

[1]- فاضل أحمد الطائي، المرجع السايق، ص90.

[2]- ابن أبي أصيبعة، المصدر السابق، ص601.

[3]- فاضل أحمد الطائي، المرجع نفسه، ص90.

[4]- نفسه، ص90.

[5]- رحاب خضر عكاوي، المرجع السابق، ص270.

[6]- شحاتة قنواتي، تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط، ط2، طبعة أوراق شرقية، بيروت، 1996، ص190.

[7]- فاضل أحمد الطائي، المصدر نفسه، ص91.

كما أودع في الكتاب أغراضا يتميز بها عما سواه منها: التنبيه على كل دواء وقع فيه وهم أو غلط من متقدم أومتأخر، وبين فيه أسماء الأدوية من سائر اللغات مع العلم بأنه لم يذكر فيه إسم دواء إلا وفيه منفعة مذكورة أو تجربة، وأورد في كتابه كثير من الأماكن التي تنبت فيها الأعشاب التي تصلح دواء وذكر أصناف الأدوية وأورد أمثلة على ذلك على النحو التالي:

-جار النهر: سمي بهذا الإسم لأنه يكون في المواضع التي فيها المياه والآجام

- حدج: هو بطيخ الحنظل إذاضخم قبل أن يصفر...إلخ[1].

ولما كان هناك أطباء يهود كبار فقد وجد كذلك صيادلة من اليهود إمتهنوا فن الصيدلة على غرار داود بن أبي النصر المعروف بكوهين العطار (ت بعد 658هـ)، الذي أقام بالقاهرة وكانت له دراية كبيرة بعلم الصيدلة حيث ألف كتاب سماه **منهاج الدكان ودستور الأعيان في أعمال وتركيب الأدوية النافعة للأبدان** ، قدم فيه نصائح قيمة لمن يريد أن يحترف صناعة الصيدلة، ويتألف كتاب كوهين من خمسة وعشرين بابا ومن بين الأمور التي ذكرها فيه كيفية عمل الأشربة وذكر المراهم والأطلية وأنواعها وذكر الضمادات والجبارات ...إلخ[2].

ولقد كانت مهنة الصيدلة تخضع لجملة من التنظيمات حيث أصبح في كل مدينة كبيرة عميد للصيادلة يقوم على إمتحانهم مثل ابن البيطار الذي كان يقوم بهذه المهام في القاهرة، والملاحظ كذلك أن ظاهرة الرشوة كانت منتشرة لدى الصيادلة حيث كانوا يغشون الناس في بعض الادوية ماأدى إلى إخضاع حوانيت الصيادلة إلى المراقبة قصد محاربة الغش الذي طال هذه المهنة وهذا مانجده في الكتاب المذكور سابقا لكوهين والذي ذكر فيه الأوصاف المميزة للأدوية وأنواعها وماتغش به وكيفية كشف هذا الغش[3].

---

[1]- فاضل أحمد الطائي، المرجع السابق، ص91.

[2]- شحاتة قنواتي، المرجع السابق،ص193.

[3]- راغب السرجاني، المرجع السابق، ص117.

أما العلوم الأخرى مثل الرياضيات والفلك فلم تكن منتشرة في مصر في العهد الأيوبي بشكل كبير، حيث لم نحصل على معلومات كافية في هذا الجانب، ومن الذين عرف عنهم إشتغالهم بالرياضيات في مصر نجد أحمد بن علي بن يوسف البوني (ت /622هـ) – نسبة إلى مدينة بونة عنابة حاليا في الجزائر– وكان له كتاب مواقف الغايات في أسرار الرياضيات حيث بين فيه كيفية الرياضيات وترتيب أسرارها وأطوارها[1].

أما الذين إشتغلوا بالفلك والتنجيم في مصر فقد ذكر القفطي شخص واحد فقط وهو علوي الديري المنجم (ت/ 595هـ)، وكان الطلاب المهتمين بهذا الفن يقصدونه في بيته للتعلم عليه وقد عرف عنه إستعماله للتقاويم، وادعى أنه يستخدم الجن ويبرئ الناس من المس[2].

---

[1]- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج2، د.ط، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.

[2]– جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي(ت 646هـ)، تح: إبراهيم شمس الدين، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ.

المبحث الثالث: المؤسسات التعليمية ودور الوقف في نجاح مهمتها

المطلب الأول: المدارس والمساجد

المطلب الثاني: الخوانق والرباطات

المطلب الثالث: الوقف ودوره في نجاح المؤسسات التعليمية

المطلب الأول: المدارس والمساجد

أ/ المدارس:

تعتبر أهم المؤسسات التعليمية بمصر في العهد الأيوبي، والمدارس في العالم الإسلامي لم تظهر بالشكل الذي هي عليه دفعة واحدة، بل كانت نتيجة لمراحل من التطور، إذ من المعروف أن أقدم مؤسسة تعليمية في الإسلام هو المسجد، فقد كان وبحق المركز الأول للمسلمين من الناحية السياسية والدينية خاصة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وبتطور الدولة الإسلامية تفرعت عنه الكثير من المؤسسات، فمن الناحية التعليمية وهو ما يهمنا بدأت تظهر دور الكتب التي أنشأها أصحابها للراغبين في الإطلاع، وكانت تفتقد إلى النظام والتخصص فظهرت مؤسسات أخرى وفرت القاعات والمعلمين وعرفت بدور العلم[1].

ولم يكتفي المسلمون بهذا الحد، بل ألحقوا بتلك المؤسسات مساكن للدارسين والمعلمين عرفت بالخوانق، إلى أن جاءت المدارس لتحقق للمؤسسة التعليمية اكتمالها من جميع النواحي [2]، ونعود بتاريخ المدرسة إلى الوراء فنرى أنها قامت على عاتق الأفراد، كمدرسة أبي علي الحسيني(ت /393هـ) في المشرق الإسلامي لتعليم الحديث، وكالمدرسة التي أسسها ابن فورك(ت /406هـ) في نيسابور عاصمة خراسان، وكالمدرسة التي أسسها أبو حاتم السبتي(ت /420هـ)[3]، ويقال بأن أول من أنشأ المدارس في الإسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن علي الطوسي، وكان وزيرا للبارسلان السلجوقي، لكن الذهبي ينكر أن نظام الملك هو أول من أنشأ المدارس في الإسلام، فقد كانت المدرسة البيهقية في نيسابور قبل أن يولد نظام الملك والمدرسة السعيدية في نيسابور أيضا[4].

ومعنى هذا أن بلاد فارس هو الإقليم الذي شهد نشأة المدارس، ثم انتشرت في باقي البلاد الإسلامية، وفي القرن الخامس هجري كثر إنشاء المدارس واشتهر منها بنيسابور في النصف الأول أربع مدارس: المدرسة البيهقية، والمدرسة السعيدية، ثم مدرسة أنشأها أبو سعيد الإستراباذي، ومدرسة أبي إسحاق الإسفرايبي، وفي النصف الثاني من القرن الخامس بدأ اشتراك الحكومـــــات الإسلاميـــة

---

[1]- أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص6.

[2]- أيمن شاهين سلام، المرجع نفسه، ص6.

[3]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص81.

[4]- السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص255.

في إنشاء المدارس، فاشتهرت المدارس المنسوبة إلى نظام الملك السلجوقي في بغداد والموصل والبصرة[1]، واستخدم السلاجقة نظام المدارس لمحاربة البويهيين الشيعة[2].

1/ نشأة المدارس في مصر:

عرفت مصر المدارس قبل مجيء صلاح الدين وقيام دولة الأيوبيين، حيث شهدت الإسكندرية المدارس السنية في أواخر عهد العبيديين، فقد أنشأ أبو الحسن علي بن السلار وزير الظافر سنة(544هـ) مدرسة، وجعل رياستها للحافظ السلفي [3]، كما أنشئت المدرسة العوفية، وعلى رأسها الفقيه المالكي الطاهر بن عوف(ت /580هـ)[4]، إلا أن انتشار المذهب السني في هذه الفترة كان قاصرا على الإسكندرية فقط [5]، وذلك بسبب موقعها الجغرافي، الأمر الذي لم يسمح بأن تعم المدارس السنية في باقي أرجاء مصر[6].

وبمجيء صلاح الدين إلى مصر، ومنذ توليه منصب الوزارة للعاضد، بدأ بإنشاء المدارس إذ غدت المدارس عنصرا أساسيا في مقاومة الدعوة الشيعية والتمكين للمذهب السني[7]، وهذا ماسار عليه السلاجقة ضد البويهيين الشيعة من جهة، وتهيئة العقول لفكرة الجهاد من جهة أخرى، سار على هذه السياسة نور الدين محمود في الشام، ثم صلاح الدين في مصر[8].

إن هدف صلاح الدين من إنشاء المدارس بالدرجة الأولى كما أشرنا سابقا هو جعل المدارس مراكزا لنشر المذهب السني، ومحاربة المذهب الشيعي الذي كان في مصر، بل إن التوسع في إقامة هذا النوع من المؤسسات في حد ذاته مظهر قوي لرقي الحياة الفكرية[9].

---

[1]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص81.

[2]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص40.

[3]- علي الصلابي، المرجع السابق، ص123.

[4]- ابن العماد، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تح: محمد علي الطعاني، د.ط، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن مكتبة المتنبي، السعودية، د.ت، ص420.

[5]- أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص40.

[6]- المرجع نفسه، ص40.

[7]- أحمد النجار، المرجع السابق، ص55.

[8]- أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص40.

[9]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص140.

بدأ صلاح الدين في إنشاء مدرستين مذكان وزيرا للعاضد يدرس فيها مدرسون على المذهب السني[1]، إذ يروي ابن الأثير أنه كان بمصر دار تسمى دار المعونة، يحبس فيها من يراد حبسه فهدمها صلاح الدين وبناها مدرسة للشافعية سنة(566هـ)[2]، وكانت تقوم بتدريس أصول المذهب الشافعي وعرفت باسم المدرسة الناصرية نسبة إلى صلاح الدين [3]، ثم اشتهرت بمدرسة ابن زين التجار[4]، أما المدرسة الثانية فكانت للمالكية [5]، بناها صلاح الدين بالقرب من جامع عمرو وكانت تعرف بدار الغزل، وهي قيسارية يباع بها الغزل، جعلها صلاح الدين مدرسة للمالكية سنة(566هـ)، وأوقف عليها القيسارية التي بسوق الوراقين، ووقف عليها ضيعة من بلاد الفيوم [6] وسميت بالقمحية لأن مرتبات المدرسين وجرايات الطلبة تدفع قمحا[7].

وبعد سقوط الدولة العبيدية وتسلم صلاح الدين للقيادة، أكمل إنشاء المدارس ليصل عدد المدارس التي بناها في القاهرة لوحدها خمس مدارس من بينها: المدرسة الصلاحية سنة(572هـ)[8] قرب مقام الإمام الشافعي، وتعد من أكبر المدارس وأشهرها، يقول ابن جبير الذي زار القاهرة ووصفها، حيث يذكرها خلال حديثه عن مقام الشافعي، فيقول: « **وبنى بإزائه مدرسة لم يعمر بهذه البلاد مثلها، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته** »[9]، وبنى المدرسة السيوفية [10] وسيأتي شرحها في موضع لاحق، وقد حذا خلفاء صلاح الدين حذوه في إنشاء المدارس إذ كانت رغبة السلاطين الأيوبيين في طلب العلم وحبه سببا لتأسيسهم للمدارس[11].

---

[1]– ألبير شاندور، المرجع السابق، ص143.

[2]– ابن الأثير، المصدر السابق، مج 10، ص31؛ الذهبي، تاريخ الإسلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج 39، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت 1996، ص29.

[3]– أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص97.

[4]– أحمد بن المظفر بن الحسين أبو العباس الدمشقي، عرف بابن زين التجار، تولى التدريس بالمدرسة الصلاحية الناصرية حتى عرفت باسمه(ت/591هـ)؛ أنظر: السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج6، ص64.

[5]– صبحي عبد المنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص257.

[6]– ابن دقماق، الإنتصار لواسطة عقد الأمصار(في تاريخ مصر وجغرافيتها)، د.ط، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، د.ت، ص95.

[7]– أحمد مختار العبادي، المرجع نفسه، ص98.

[8]– أبي الفدا، المصدر السابق، ج3، ص77.

[9]– ابن جبير، المصدر السابق، ص22.

[10]– حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص570.

واصل السلاطين حركة إنشاء المدارس التي فتحت أبوابها لاستقبال الوافدين إليها من مختلف الأنحاء، وهيأت لهم أماكن الإقامة [1]، ومن أهم المدارس: المدرسة الكاملية [2] التي أنشأها السلطان الكامل سنة(621هـ)، والمدرسة الصالحية [3] التي أنشأها السلطان نجم الدين أيوب سنة(639هـ)[4] والمدرسة الفاضلية التي بناها القاضي الفاضل للشافعية، والمدرسة التي بناها الأمير تقي الدين عمر الأيوبي للشافعية، إذ لم يقتصر إنشاء المدارس على السلاطين فقط، بل تعداه إلى مشاركة الأمراء والأغنياء في ذلك[5]، وبذلك كثرت المدارس وتنوعت، وتخصصت على النحو الآتي:

ـ مدارس خصصت لتدريس المذهب الشافعي: وهم ستة عشر مدرسة، ثلاثة منها بالفيوم، وواحدة بأسوان، وأخرى بأسيوط، والباقي بالقاهرة.

ـ مدارس خصصت لتدريس المذهب المالكي: وهم إحدى عشر مدرسة، اثنتان منها بالفيوم وواحدة بقوص، ورابعة بمنية بني الخصيب، واثنتان بالإسكندرية، والباقي بالقاهرة.

ـ مدارس خصصت لتدريس المذهب الحنفي: وهم ستة مدارس كلهم بالقاهرة.

ـ مدارس خصصت لتدريس مذهبين معا: وهي مدرسة واحدة بالقاهرة، أوقفها الفاضل على دراسة فقهي الإمامين مالك والشافعي.

ـ مدارس خصصت لتدريس المذاهب الأربعة: وهي مدرسة واحدة بالقاهرة، والتي أنشأها الصالح أيوب[6].

=[11]- حازم فارس علي، المرجع السابق، ص28.

[1]- أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص21.

[2]- أنظر: الملحق رقم 3، ص 103.

[3]- أنظر: الملحق رقم 4، ص104.

[4]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيين والمماليك، المرجع السابق، ص142.

[5]- أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص99.

[6]- أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص7.

وسنعطي أنموذجا عن كل مدرسة:

أ/ **المدرسة الناصرية:** أقامها صلاح الدين حين كان في منصب الوزارة للعاضد سنة(566هـ)، حيث كان بمصر دار للشحنة تسمى دار المعونة، يحبس فيها من يراد حبسه [1]، وقد ذكر المقريزي أنها كانت دارا للشرطة، ثم تحولت إلى سجن، ثم حولها صلاح الدين إلى مدرسة، تقع بجوار جامع عمرو بن العاص، خصصت لتدريس المذهب الشافعي[2]، سميت بالناصرية نسبة إلى صلاح الدين[3] وأول من تولى التدريس بها هو ابن زين التجار حتى عرفت باسمه [4]، وقد تلاه في التدريس بها جماعة نذكر منهم: أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن مكي الحموي(ت/599هـ)[5].

ب/ **المدرسة القمحية:** أول وأهم مدرسة للمالكية بمصر في العهد الأيوبي [6]، كان موضعها يعرف بدار الغزل، فهدمها صلاح الدين وجعلها مدرسة للمالكية سنة(566هـ)[7]، ووقف عليها القيسارية التي بسوق الوراقين[8]، وضيعة من بلاد الفيوم تعرف بالحنبوشية، وهي مدرسة مباركة تخرج منها جماعة من الأفاضل[9]، وفي التكملة حكى المنذري عن جماعة ممن تولوا التدريس بها منهم: أبو البركات هبة الله بن عبد الله بن عبد المحسن بن علي ابن ثعلب بن أحمد الأنصاري المالكي(ت/589هـ)[10].

---

[1] – ابن الأثير، المصدر السابق، مج10، ص32.

[2] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص ص363، 364.

[3] – أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص75.

[4] – السبكي، المصدر السابق، ج6، ص64.

[5] – أبو عبد الله محمد بن هبة الله بن مكي الحموي، تفقه على مذهب الإمام الشافعي، وسمع بالإسكندرية من الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد الأصبهاني، وولي التدريس بالمدرسة الناصرية والخطابة بالقاهرة (ت /569هـ)؛ أنظر: المنذري، المصدر السابق، ج 1 ص458.

[6] – أيمن شاهين سلام، المرجع نفسه، ص101.

[7] – ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المصدر السابق، ص95.

[8] – المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر نفسه، ج2، ص374.

[9] – ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المصدر نفسه، ص95.

[10] – أبو البركات هبة الله بن عبد المحسن بن علي بن ثعلب الأنصاري المالكي، تفقه على مذهب الإمام مالك، ودرّس بالمدرسة المالكية(ت/589هـ)؛ انظر: المنذري، المصدر السابق، ج1، ص198.

ج/ **المدرسة السيوفية:** أول وأهم مدارس الفقهاء الحنفية، أوقفها صلاح الدين سنة(572هـ)[1]، كانت في السابق دارا للوزير البطائحي، وعرفت بالمدرسة السيوفية لأن سوق السيوفيين كان على بابها[2] أول من تولى التدريس بها هو مجد الدين محمد بن محمد الجبتي، ورتب له في كل شهر أحد عشر دينارا[3]

د/ **المدرسة الفاضلية:** تقع بدرب ملوخية بالقاهرة، أنشأها القاضي الفاضل، وهي أول مدرسة بمصر توقف على مذهبين، اختصت بتدريس الفقه الشافعي والمالكي، ابتدأ التدريس بها سنة(580هـ) كما جعل فيها درسا للقراءات [4]، ومن الذين درّسوا بها: أبو القاسم عبد الرحمان بن سلامة بن يوسف القضاعي(ت/603هـ)[5]

هـ/ **المدرسة الصالحية:** أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة(639هـ)، اختصت بتدريس أربعة مذاهب[6]، وكان بالمدرسة أربع أواوين لكل طائفة إيوان خاص بها[7]، ومن الذين تولوا التدريس بها عبد العزيز بن عبد السلام(ت/660هـ)[8]

وهناك مدارس لم يهتدى إلى المذهب الذي خصصت لأجله مثل: مدرسة المعظم توران شاه بالإسكندرية، حيث لم يرد أي خبر عمن درّسوا بها، ولا المذهب الذي خصصت لأجله[9].

---

[1]– أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص112.

[2]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص374؛ أحمد مختار العبادي، المرجع السابق، ص98.

[3]– المصدر نفسه، ج4، ص204.

[4]– ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص ص162، 163.

[5]– أبو القاسم عبد الرحمان بن الشيخ أبي الخير سلامة بن يوسف بن علي بن عبد الدائم القضاعي الإسكندراني المالكي، تفقه على مذهب الإمام مالك، وولي القضاء ثم التدريس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة؛ أنظر: المنذري، المصدر السابق، ج2، ص98.

[6]– السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص263.

[7]– أيمن شاهين سلام، المرجع نفسه، ص122.

[8]– عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن بن محمد ابن مهذّب السُّلمي، شيخ الإسلام والمسلمين وأحد الأئمة الأعلام، تولى التدريس بالمدرسة الصالحية(ت/660هـ)؛ انظر: السبكي، المصدر السابق، ج8، ص ص، 209، 211.

[9]– أيمن شاهين سلام، المرجع نفسه، ص127.

كانت المدارس في ذلك العصر أشبه بالجامعات اليوم، ولم تقتصر على تدريس العلوم الدينية فحسب، بل شملت نواحي العلوم الأخرى[1].

2/ الطابع العمراني للمدرسة:

أما عن الطابع العمراني للمدرسة في العهد الأيوبي بمصر، فقد كانت عبارة عن بناء متجه للقبلة وفي وسطه صحن كبير مربع وإلى جانبه إيوان تعلوه قبة تحتها محراب، ومن ثم لم تختلف هيأة المدارس عن المساجد، لأن المدرسة كان يقصد بها أول الأمر دراسة الدين في كل شيء، مما يدل على أن عمارة المسجد قد أدخل عليها تطوير خاص، بحيث أضحى عمارة مدرسية، وليس عمارة خاصة بالمساجد، ويحيط بالصحن من جوانبه الأربعة أروقة طويلة مقنطرة السقف، وأما الجناح الشرقي فهو مخصص للصلاة، وكانت الأروقة الأربعة تستقبل طلابها حسب المذهب[2].

3/ التنظيم الإداري للمدارس:

أما عن التنظيم الإداري بالمدارس، فقد كانت حجج الوقف التي حبست عليها بمثابة الدستور الذي نظم الحياة بتلك المدارس، إذ لم يقتصر أثر الأوقاف على الموارد المالية فحسب، بل شمل كذلك كافة الجوانب التعليمية والدينية والإدارية، فكان الوقف أشبه ما يكون باللائحة الأساسية للمدرسة التي تضم الأسس التربوية للتعليم، موضحا بها الشروط الواجب توفرها في المدرس والدارس.

أما بالنسبة لتمويل البناء فهو يختلف بين المدارس فهو يختلف بين المدارس الحكومية التي أنشأها سلاطين البيت الأيوبي، والتي تتميز عن غيرها من ناحية اختيار الموقع، فإما أن تكون بموضع مشهور أو قرب ضريح، كالمدرسة الناصرية، والمدرسة الشافعية، كما تتميز باتساعها.

أما المدارس الأهلية فهي التي تكفل الأفراد بإنجازها، كالأمراء والتجار وأصحاب المناصب العليا فلا يراعى فيها اختيار الموقع، وهي أقل اتساعا لأن إمكانيات الأفراد أقل من إمكانيات الدولة[3].

---

[1]- سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص142.

[2]- حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص569.

[3]- أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص ص131←135.

أما عن طبقات المدرسين داخل المدرسة فكانت ثلاثة:

أ/ الصدر: لإلقاء مذهب من مذاهب الفقه، ويكون الصدر إماما في الفقه أو الحديث أو التفسير أو من كبار الأئمة في عصره، وأكثرهم تمكنا من مادته، وعلى يده يتخرج الكثيرون من نوابغ المدارس وإليه يذهب الملوك والأمراء لسماعه والإفادة منه [1]، وليس من الضروري أن يكون لكل مدرسة صدرها، لأنه إذا لم يوجد اكتفت المدرسة بالمدرسين والمعيدين، مثلما كان في المدرسة الصلاحية[2].

ب/ المدرسون: وهم الذين يعينون الصدر في شرح مادته، وهم أهم شيء في نشأة المدرسة، فبه تعرف المدرسة ويذاع صيتها، وأحيانا عرفت المدارس باسم مدرسيها لا بمن أنشأها مثل: مدرسة ابن زين التجار [3]، وللمدرس شروط، يقول السبكي: « **وحق عليه إلقاء الدرس وتفهيمه للحاضرين، ثم إن كانوا مبتدئين فلا يلقي عليهم ما لا يناسبهم من المشكلات...ومن أقبح المنكرات مدرس يحفظ سطرين أو ثلاثة من كتاب ويجلس يلقيها ثم ينهض، فهذا إن كان لا يقدر إلا على هذا القدر فهو غير صالح للتدريس** »[4].

ج/ المعيدون: وعددهم في المدرسة أكثر من عدد غيرهم في الغالب [5]، ودور المعيد هو أن يساعد المدرس في وظيفته، حيث يقوم بإعادة إلقاء الدرس على الطلبة لأنه أكبر منهم درجة، ويجلس معهم لسماع الدرس، ويرجع إليه الطلبة للاستفسار عما صعب عليهم فهمه [6]، يقول السبكي:« **المعيد عليه قدر زائد على سماع الدرس من تفهيم بعض الطلبة ونفعهم، وعمل ما يقتضيه لفظ الإعادة** »[7]، ومنذ العهد الأيوبي أصبحت وظيفة المعيد وظيفة مرموقة، وقلّ أن تخلو مدرسة من معيد[8]، إذ تذكر المصادر عن المدرسة الشافعية أنها خلت من مدرس ثلاثين سنة، واكتفت بالمعيدين وعددهم عشرة أنفس[9].

---

[1] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص171.

[2] – السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص257.

[3] – أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص143.

[4] – السبكي، مُعيد النعم ومُبيد النقم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986، ص ص83، 85.

[5] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص170.

[6] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص142.

[7] – السبكي، مُعيد النعم، المصدر نفسه، ص85.

[8] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع نفسه، ص142.

اعتمد التدريس على الإلقاء والتلقين والإملاء، وأحيانا تدور مناقشات علمية بين المدرس وتلامذته[1].

خصص أصحاب المدارس رواتبا للمدرسين والتي يتقاضونها من الوقف الخاص بالمدرسة وليست نقدا دائما، فأحيانا تكون أجور المدرسين مما تدره الأرض، ومثال ذلك المدرسة القمحية[2].

هذا ولم تخلو المدارس من وظائف أخرى كالإمام والقارئ والمؤذن والناظر والخدم وموظفو المكتبة وطلاب المدارس، وهم صنفان: طلاب منتظمون وهم الذين يقيمون في المدرسة بصفة دائمة ويخضعون لشروط حجة الوقف، أما الطلاب الغير منتظمون، فهم الذين يحضرون مجالس المدرسين بصفة غير منتظمة على حسب ظروفهم، ولم تكن تشملهم حجة الوقف من شروط وواجبات[3]

أما عن المنشآت الرئيسية بالمدارس، فشملت قاعات الدرس، ومساكن المدرسة، ومكتبات المدارس، حيث عنى الأيوبيون بالمكتبات [4]، وبيت الصلاة والحمامات والمارستان الذي كان يلحق بالمدرسة من أجل العناية الصحية بالمدرسين والطلبة[5].

4/ البيمارستانات: جمع بيمارستان، وهي كلمة فارسية مركبة من "بيمار" ومعناها مريض ،و"ستان" ومعناها مكان المرضى أو المستشفى.

لم يكن في عهد صلاح الدين مدارس خاصة للطب، بل كان هذا النوع من الاختصاص يدرّس في المستشفيات، ثم يتوجه الطالب بعد المحاضرة إلى المرضى ليعاين الأمراض ويعالج المرضى [6] واستخدم له أطباءا وعلماءا، ومشرفين وعمالا وخدما، فانتفع به الناس [7]، وقد شاهد ابن جبير هذا المارستان خلال زيارته لمصر ووصفه في كتابه، فقال:« **ومما شاهدناه أيضا من مفاخر هذا السلطان**

= 9 – السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص257.

1 – سعيد عبد الفتاح عاشور الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص142.

2 – القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص50.

3 – أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص ص155، 157.

4 – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص213.

5 – أيمن شاهين سلام، المرجع نفسه، ص ص161، 162.

6 – محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص214.

7 – المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص407.

المارستان الذي بمدينة القاهرة، وهو قصر من القصور الرائعة حسنا واتساعا..وعين قيّما من أهل المعرفة، وضع لديه خزائن العقاقير..ووضعت في مقاصير ذلك القصر أسرّة يتخذها المرضى مضاجع..وبين يدي ذلك القيم خدم يتكفلون بتفقد أحوال المرضى..وبإزاء هذا الموضع، موضع مقتطع للنساء المرضى »[1].

كما أمر صلاح الدين بفتح مارستان بالفسطاط على نمط القاهرة، وحدد له مصادر الإيراد والنفقة عليه، وأنشأ أيضا مارستانا بالإسكندرية سنة(577هـ)[2].

[1] – ابن جبير، المصدر السابق، ص26.

[2] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص214.

ب/ المساجد:

يعتبر المسجد أول مؤسسة تعليمية في تاريخ المسلمين، لكن بتطور الدولة الإسلامية تفرعت عنه عدة مؤسسات مختصة، ومنها المدارس [1]، والعصر الأيوبي بمصر يعتبر عصر المدارس بحق، فقد أخذت الصدارة في التعليم، وتراجعت وظيفة المسجد [2]، وقد لاحظنا عناية الأيوبيين ومنهم صلاح الدين بإنشاء المدارس، ولكن العكس بالنسبة للمساجد، فلم تذكر المصادر التاريخية أن صلاح الدين بنى مسجدا، بل اكتفى بإصلاح وتوسيع الموجود منها[3]، وهذا ما يذكره ابن دقماق عن جامع ابن طولون، فيقول: « **وفي سنة(568هـ) جدد الملك الناصر صلاح الدين .. صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه** .. »[4]، ورأى صلاح الدين بأن الوضع لا يستدعي اضافة عدد آخر نظرا لكثرتها، ولأن الرعية يقومون بإنشائها طمعا في الثواب، كما جدد صلاح الدين جامع عمرو بن العاص سنة(567هـ)، وبنى الصالح أيوب مسجدا بظاهر باب النصر، وبنى الأمير بهاء الدين قراقوش مسجدا [5]، وانتشرت المساجد في كل مكان [6]، يقول ابن جبير عن الإسكندرية في وصف مساجدها: « **أكثر بلاد الله مساجدا** »[7]، ومن أشهر جوامعها نذكر منهم: الجامع الجيوشي، ويعرف أيضا بجامع العطارين، وقام بالتدريس فيه علماء أجلاء ومتصوفة مشهورون[8].

ومن أهم الجوامع المشهورة في مصر: الجامع الأزهر، جامع الحاكم، وجامع ابن طولون، وجامع عمرو بن العاص[9].

1/ الجامع الأزهر: أول جامع أسس بالقاهرة، أنشأه القائد جوهر الصقلي، مولى المعز لدين الله لما اختط القاهرة[10]، ليكون رمزا لسيادة الدعوة الفاطمية، شرع في بنائه سنة(359هـ)، وأقيمت الصلاة

---

[1] – أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص6.

[2] – حسن إبراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص571.

[3] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص215.

[4] – ابن دقماق، الانتصار لواسطة عقد الأمصار، المصدر السابق، ص69.

[5] – محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص ص215، 216.

[6] – أحمد بدوي، الحياة الأدبية، المرجع السابق، ص21.

[7] – ابن جبير، المصدر السابق، ص17.

[8] – أحمد النجار، المرجع السابق، ص61.

[9] – ستانلي ليبول، المرجع السابق، ص180.

[10] – السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص251.

به بعد عامين[1].

2/ جامع الحاكم: أسسه العزيز بالله ابن المعز، وخطب فيه وصلى بالناس، ثم أكمله الحاكم بأمر الله وعرف أولا بجامع الخطبة، ثم بجامع الحاكم سنة(393هـ).

3/ جامع ابن طولون: ابتدأ في بنائه أحمد بن طولون بعد بنائه مدينة القطائع سنة(266هـ).

4/ جامع عمرو بن العاص: من أقدم مساجد مصر وأشهرها، بناه عمرو بن العاص سنة(21هـ)[2].

هذا وعلى الرغم من تطور المؤسسات التعليمية، واستقلالها عن المسجد، إلا أنه ظل محتفظا بمكانته، إذ كان من الضروري أن تقام بتلك المساجد حلقات للدرس [3]، يقول ابن جبير عن جامع ابن طولون: « **جعله السلطان مأوى للغرباء، يسكنونه ويحلقِون فيه** [4]، **وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر** »[5].

ولقد حظيت كثير من المساجد في مصر زمن الأيوبيين بنشاط فكري وعلمي ملحوظ ، ولقد كانت سبل الإعاشة بالنسبة للمجاورين والمترددين علي هذه المساجد تختلف عنها في المدارس إذ أن الطلبة في المدارس يتلقون المعاليم الشهرية التي تعينهم علي معيشتهم والاستمرار في طلب العلم ، أما حالة الطلبة المجاورين فإنهم يقومون بنفقة أنفسهم إلا ما يقوم به أرباب الأموال والإحسان من الصدقة بأنواع البر من الأموال والأطعمة[6].

إضافةإلى المساجد، فقد وجدت في العصر الأيوبي كتاتيب لتعليم الصغار القراءة والكتابة وتحفيظهم القرآن، وقد أنشأ صلاح الدين عددا من هذه المكاتب لتعليم أبناء الفقراء والأيتام خاصة[7]، ويصف الرحالة ابن جبير صنيع صلاح الدين، فيقول:« **ومن مآثره .. أنـه أمر بعمـــارة**

---

[1] – صبحي عبد المنعم، تاريخ مصر السياسي والحضاري، المرجع السابق، ص125.

[2] – السيوطي، حسن المحاضرة، المصدر السابق، ج2، ص ص239، 246، 253.

[3] – أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص23.

[4] – يحلِقون: يعقدون حلقات الدرس.

[5] – ابن جبير، المصدر السابق، ص26.

[6] – جمال علي الدهشان، الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين المماليك، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، كلية التربية، جامعة حلوان، العدد الثاني 1995، ص16.

[7] – سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص143.

محاضر، ألزمها معلمين لكتاب الله عز وجلّ، يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة »[1].

[1] – ابن جبير، المصدر السابق، ص27.

المطلب الثاني: الخوانق والرباطات

1/ الخوانق: جمع خانقاه، وهي لفظة فارسية بمعنى البيت [1]، والخوانق نمط من العمائر الدينية وجدت في مصر في العصر الأيوبي.

إن تشييد الخوانق في الإسلام له دلالة هامة فهي تعبر عن مقر الصوفية، إذ ارتبطت الخوانق بالتصوف، وانتشارها بمصر كان بسبب التوافد الكثير للصوفية عليها [2]، حيث كان المتصوفة يخلون إلى أنفسهم وإلى عبادة الله في أماكن خاصة عرفت فيما بعد بالخوانق، يهتمون فيها بإيواء الغرباء من المسلمين و يوفرون لهم فيها أسباب الراحة من أجل العيش والعبادة والعلم، ومن ثم كانت الرباطات[3].

2/ الرباطات:

الرباطات جمع رباط، وأصل الرباط هو ما يربط فيه الخيول، ثم قيل لكل ثغر يدفع أهله عمن وراءهم رباط، أي أصبحت ملازمة الثغر رباطا، كما قيل أن الربط والمرابطة انتظار الصلاة بعد الصلاة والمحافظة عليها[4]، وهذه التفاسير لا تخرج عما جاء في الآيتين الكريمتين، يقول الله تعالى « **وَأعِدُوا لَهُم مَا استَطَعتُم مِن قُوَةٍ وَمِن رِبَاطِ الخَيلِ** »[5]، ويقول سبحانه وتعالى:« **يَا أيُهَا الذِينَ آمَنُوا اصبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا واتَقُوا اللهَ لَعلَكُم تُفلِحُونَ** »[6]، وقد جرت العادة عقب الفتوح الإسلامية بتشييد مؤسسات عسكرية في الثغور التي هي موضع مخافة العدو، عرفت هذه المؤسسات باسم الرباط، ولما انتشر التعليم، وأقيمت المدارس النظامية في مصر، غـــدت بعض الروابط مـــدارس

---

[1] – محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص214.

[2] – دولت عبد الكريم، الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي، أطروحة دكتوراه في علم الآثار، إشراف: سعاد ماهر د.ب، 1983، ص ص1، 10.

[3] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص104.

[4] – دولت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص20.

[5] – سورة الأنفال، الآية 60.

[6] – سورة آل عمران، الآية 200.

وكان لها صفة تعليمية[1]، وإلى جانب هذا الربط كان ثمة أماكن أصغر منها وأحيانا تكون جزءا منها هي الزوايا، ومفردها زاوية، والزاوية ركن الدار ثم أصبحت تطلق على الدار الصغيرة التي لا تتسع لأكثر من شخص في الغالب أو أشخاص قليلين في النادر، ينقطعون فيها لعبادة الله، واستمر الأمر إلى غاية القرن الرابع هجري، فظهرت مؤسسة كبيرة لهذا الغرض عرفت باسم الخانقاه، وهو لفظ فارسي كما قلنا سابقا، ومعناه البيت، ثم أطلق هذا الإسم على الدور التي يقوم الملوك والأمراء المتحمسون بإنشائها من أجل أغراض شتى منها إيواء الغرباء من المسلمين، والسماح لهم ولأسرهم بالإقامة في هذه الدور، ثم القيام على معيشتهم وتعليمهم[2].

3/ نشأة الخوانق في مصر:

ارتبطت نشأة الخوانق في مصر بالصوفية، حيث شهد القرن السادس هجري بمصر انتشار التصوف بكثرة لأنه امتزج بالدين، وكثر ترديد مبادئه وأصوله على ألسنة الشعراء، وكان لحفظ الناس لهذه الأشعار أن جعلته يسري في عقولهم، وأصبح للصوفية تأثير على المجتمع، فظهر ميلهم لإصلاح ذات البين.

عمد صلاح الدين إلى تثبيت المذهب السني بمصر بشتى الوسائل، فأقام المدارس، ثم استقدم ثلاثمائة من أكابر الصوفية المعتدلين من أهل الورع والدين [3]، وأنزلهم بدار سعيد السعداء التي حولها إلى خانقاه للصوفية [4] سنة(573هـ)، وهي أول خانقاه عمرت بالقاهرة، وكانت دارا لشخص من خدام الخليفة المستنصر بالله، يقال له قنبر سعيد السعداء، فاشتراها صلاح الدين وبناها خانقاها [5] بعد أن عدّل في كيانها المعماري [6]، ولم يكن هذا التعديل اعتباطا، وإنما تأثرا بالفرس لاحتكاكهم بهم[7]، كما أن صلاح الدين كان محاكيا في إقامة الخوانق لنور الدين محمود زنكي الذي أكثر منها في بلاد الشام، ولأن صلاح الدين كان يهتم بالطرق الصوفية ويحب المتصوفين، فبعد إقامته للخانقـاه

---

[1]- دولت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص20، 21.

[2]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص105.

[3]- دولت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص17.

[4]- المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج2، ص363.

[5]- ابن إياس، المصدر السابق، ج1، ص ص242، 243.

[6]- انظر: الملحق رقم 5، ص 105.

[7]- عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع نفسه، ص105.

أوقف عليه الأوقاف الكبيرة، وولى على الصوفية شيخا سماه شيخ الشيوخ [1]، وأنشأت عصمة الدين خاتون زوجة صلاح الدين خانقاها خارج باب النصر في القاهرة سنة(581هـ)[2]، وقد شاع هذا النوع من بيوت العبادة حتى صار الأمراء في القاهرة يتسابقون إلى إقامة العديد منها[3].

4/ شيخ الخانقاه: وهو الرئيس الأعلى في الخانقاه، وصلاح الدين هو من أطلق عليه لقب شيخ الشيوخ[4]، وكان يشترط فيه أن يكون ورعا، معروفا باتساعه في العلوم مرموق المكانة، مراعيا للشرع في مظهره ولباسه [5]، وفي هذا الصدد، يقول القلقشندي عن مشايخ الصوفية: « **هم مضاهون لطائفة العلماء في لبس الدلق، إلا أنه يكون غير سابل ولا طويل الكم** »[6]، وكان من وظائفه النظر في أمر الوقف، وحضور قراءة وثيقة المنشأ سنويا للتأكد من تنفيذ ما جاء فيها بدقة، والإشراف على الحفلات الدينية التي تقيمها الدولة رسميا ويحضرها السلاطين والأمراء وطبقات الناس.

5/ الحياة داخل الخانقاه:

إن الالتحاق بالخانقاه منظم وله شروط خاصة منها: توفر الصلاح والتقوى، ومراعاة الشرع في اللباس والذكاء والفطنة والاشتغال بالعلم، كما لها إدراة خاصة، يديرها العاملون بها، وكان لها ميزانية خاصة، وهي تلك الأوقاف التي حبست عليها[7].

أما عن الحياة داخل الخانقاه، فقد كان المتصوفة منشغلين بعبادة الله وطلب العلم[8]، حيث يفد إلى الخانقاه العلماء والفقهاء ليلقوا عليهم دروسا في الفقه والحديث [9]، فالخانقاه أقيمت لمهمة تربوية محظة، وهي إقامة المراد تربيتهم تحت عين شيخ الخانقاه، وكان الاهتمام شديدا بدراسة القرآن ومعرفة

---

[1]– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص215.

[2]– ابن العماد، شذرات الذهب، المصدر السابق، مج6، ص447.

[3]– ألبير شاندور، المرجع السابق، ص143.

[4]– محمد سهيل طقوش، المرجع نفسه، ص215.

[5]– دولت عبد الكريم، المرجع السابق، ص212.

[6]– القلقشندي، المصدر السابق، ج4، ص43.

[7]– دولت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص ص211، 212.

[8]– أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص31.

[9]– عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص110.

معانيه الظاهرة والباطنة، كما كان بالخوانق دراسات ، كالفقه والتفسير والحديث والنحو والأصول والقراءات[1].

إن مقدار العلم الذي كان يدرس في الخانقاه أقلّ درجة من العلم الذي يلقى في المدارس وذلك لأن الاهتمام بالمدارس كان أولى في تلك الفترة، وازدهار الخوانق إنما كان في عصر المماليك[2].

ترجع أهمية الخوانق في أن أهلها من الصوفية شاركوا المجتمع خارجيا في جميع نواحيه ونشاطاته وكانوا مثالا يقتدى به من طرف أفراد المجتمع، كما اكتست الخوانق طابعا عمرانيا وتطورا حضاريا[3].

---

[1]– دولت عبد الكريم، المرجع السابق، ص ص208، 210.

[2] – عبد اللطيف حمزة، الحركة الفكرية، المرجع السابق، ص110.

[3] – دولت عبد الكريم، المرجع نفسه، ص222.

المطلب الثالث: الوقف ودوره في نجاح المؤسسات التعليمية:

1/ تعريف الوقف:

أ/ **لغة:** الوقف بفتح الواو وسكون القاف، مصدر وقف الشيء بمعنى حبسه وأحبسه، وتجمع على أوقاف ووقوف[1]، وسمي وقفا لما فيه من حبس المال على الجهة المعينة.

ب/ **اصطلاحا:** تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة[2]، إذ يؤيده ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب أصاب أرضا بخيبر فأتى النبي صلى الله عليه وسلم يستأمره فيها، فقال يا رسول الله أصبت أرضا بخيبر، لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به، قال: « **إن شئت حبست أصلها، وتصدقت لها** »[3]، فقوله: تحبيس من الحبس بمعنى المنع، ويقصد به إمساك العين ومنع تملكها بأي سبب من أسباب التمليك[4].

والأدلة على مشروعية الوقف ثابتة من السنة منها: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « **إِذَا مَاتَ ابنُ آدَم انقَطَعَ عَمَلُهُ إلاَ مِن ثَلاثٍ، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له** »[5].

2/ دور الوقف في نجاح المؤسسات التعليمية:

إن الحديث عن المؤسسات التعليمية السابقة، يقتضي منا التساؤل، كيف كانت تسير من الناحية المالية؟

إذ لم يغفل بناة المدارس عن وقف الأوقاف عليها حتى تؤدي رسالتها، وتضمن استمرارها[6]

---

[1]- أبي الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، مج 9، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت ص ص359، 360.

[2]- محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي، شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تح: عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين، ج 4 ط1، د.ن، د.ب، 1410هـ، ص268.

[3]- رواه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط – باب الشروط في الوقف 982/2- رقم 2586، وفي الوصايا، باب الوقف كيف يكتب (1019/3- رقم (2620).

[4]- منصور بن يونس البهوتي، كشف القناع على متن الإقناع، ج2، د.ط، مطبعة الحكومة، مكة، 1394هـ، ص489.

[5]- رواه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية – باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته 1255/3- رقم 1631.

[6]- سيدة إسماعيل كاشف وآخرون، المرجع السابق، ص381.

ولهذا فقد لجأ السلاطين الأيوبيون إلى دعم المدارس والخوانق والمكتبات بالأوقاف [1]، فأولهم صلاح الدين الذي عني بالأوقاف، نظرا لدورها الكبير في تحقيق التعاون والوحدة، مع رغبته في نشر العلم والسنة بين المسلمين وحثهم على التكافل الاجتماعي والمالي، لمحاربة الصليبيين من جهة والقضاء على الخرافات والبدع التي نشرها العبيديون من جهة أخرى، فأنشأ لأجل ذلك المدارس والخانقاه والبيمارستان وبيوت السبيل، وعني بالتعليم وخصّ بشأن كل مؤسسة وقفا خاصا بها وتنوعت أنواع الأوقاف بين الحوانيت والأراضي وغيرها[2].

وسنتكلم عن بعض نماذج الأوقاف في العهد الأيوبي، والتي تنوعت وشملت كل المؤسسات التي أقامها الأيوبيون، وقد تحدث المقريزي عن أوقاف المدارس بعد فراغه من ذكرها، يقول: « **فأما المدرسة القمحية فوقف عليها قيسارية الوراقين، وضيعة بالفيوم تعرف بالحنبوشية** »، وذكر أن كل مدرسة من هذه المدارس الوقفية تبعتها مكتبات كبرى، وحبست لها أوقاف استثمارية عظمى[3].

كما تكلم عن هذا المؤرخ ابن تغري بردي، إذ يذكر أن صلاح الدين لما ملك الديار المصرية بدأ بإنشاء المدارس، فعمّر مدرسة للشافعية بجوار ضريح الإمام الشافعي، وجعل دار سعيد السعداء خانقاه، وأوقف عليها وقفا هائلا، وكذلك وقف على كل مدرسة عمرّها وقفا جيدا، وبنى المدرسة المعروفة باسم ابن زين التجار، ووقف عليها وقفا جيدا، وبنى بالقصر مارستانا، وأوقف له وقفا جيدا[4].

ولم تقتصر أوقاف صلاح الدين على المدارس فقط، بل شملت حتى المساجد وبيوت السبيل والكتاتيب الخاصة بتعليم الصغار، حيث يذكر ابن جبير عناية السلطان بهذا، فيقول:« **واتسع اعتناء السلطان بهؤلاء الغرباء حتى أمر بتعيين حمامات يستحمون فيها متى احتاجوا لذلك، ونصب لهم مارستانا لعلاج من مرض منهم** » ويقول بعد ذلك:« **ولهذا كله أوقاف من قبله** »[5]، وحـذا

---

[1]– سعيد عبد الفتاح عاشور، الأيوبيون والمماليك، المرجع السابق، ص143.

[2]– محمد سهيل طقوش، المرجع السابق، ص212.

[3]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج4، ص ص200←210؛ ابن دقماق، المصدر السابق، ص95.

[4]– ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج6، ص ص50، 51.

[5]– ابن جبير، المصدر السابق، ص ص15، 16.

خلفاء صلاح الدين حذوه في حبس الأوقاف على المؤسسات التعليمية[1].

لعبت الأوقاف دورا هاما في استمرار تلك المؤسسات في مهمتها التعليمية خلال ذلك العصر فالمقريزي يذكر لنا عبارات عند ذكره للمدارس بمصر، تدل دلالة واضحة على أهمية الأوقاف بالنسبة للمدارس، لأنها تعمل على تثبيت أركانها، وتكفل لها الاستمرار، يقول المقريزي خلال حديثـــه عن المدرسة الناصرية: « **ولولا ما يتناوله الفقهاء من المعلوم بها لخربت، فإن الكيمان ملاصقة لها بعدما كان حولها أعمر موضع الدنيا** »، ويقول كذلك عن المدرسة القمحية:« ... **وقد أحاط بها الخراب، ولولا ما يتحصل منها للفقراء لدثرت** »[2].

حقا إن أوقاف المدارس بمصر في العصر الأيوبي، ساهمت بشكل ملحوظ في استقرار أحوال المدرسين والمعيدين والطلبة، فقد كانت رواتب هؤلاء لائقة بمنزلتهم ومكانتهم [3]، وهو ما يؤيده ما قال المقريزي في حديثه عن المدرسة السيوفية أن صلاح الدين نصب في التدريس بها، مجد الدين محمد بن محمد الجبتي، ورتب له في كل شهر أحد عشر دينارا، وباقي ربع الوقف يصرفه على الطلبة الحنفية المقررين عنده[4].

وعليه فإن الوقف ساهم في تحسين وضعية الطلاب عن طريق الخدمات المقدمة لهم، والتي كانت تمولها الأوقاف، وهيأت لهم الظروف المناسبة لزيادة الرصيد العلمي حتى يتمكن الطالب من الإفادة من برامج التعليم إلى أقصى حد ممكن[5].

---

[1]– حسن ابراهيم حسن، المرجع السابق، ج4، ص570.

[2]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر السابق، ج4، ص201.

[3]– أيمن شاهين سلام، المرجع السابق، ص141.

[4]– المقريزي، المواعظ والاعتبار، المصدر نفسه، ص204.

[5]– جمال علي الدهشان، المرجع السابق، ص ص5، 6.

خاتمة

من خلال دراستنا لموضوع الحركة الفكرية والعلمية في مصر الأيوبية (567 هـ-648هـ) خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- قامت الدولة الأيوبية في مصر ثم إمتدت إلى الشام ومناطق أخرى، وقيامها يعتبر نتيجة مباشرة للحروب الصليبية،

_ الموقع الجغرافي المتميز والحساس بالنسبة لمصر في خارطة العالم الإسلامي هدفا للعبيديين الذين أرادوا من خلالها القضاء على الخلافة العباسية في بغداد وتوحيد العالم الإسلامي تحت خلافة شيعية واحدة.

_ اتسمت الأيام الأخيرة للعبيديين في مصر بالتراجع والانحطاط، وذلك بسبب ضعف شخصية الحكام والصراع حول السلطة، الأمر الذي جعل الدولة تقف عاجزة عن صد الحملات الصليبية.

_ أدرك نور الدين محمود أهمية مصر وأن ضمها هو السبيل الوحيد لتحقيق الوحدة الإسلامية ودحر الصليبيين، فكان له ذلك.

_ تسلم صلاح الدين ذو المذهب السني لمنصب الوزارة في دولة العبيديين ذات المذهب الشيعي وقيامه بالتغييرات بحرية لدليل واضح على تراجع نفوذ العبيديين في مصر.

_الدور الذي قام به صلاح الدين كان إمتداد وإستمرار لدور القائد الفذ عماد الدين زنكي الذي غرس نواة تكوين الجبهة الإسلامية المتحدة لمواجهة العدو الصليبي ثم جاء من بعده ابنه نور الدين محمود الذي سقى هذه البذرة فنبتت وإخضر عودها وإستقام في عهده، حتى إذا تولى صلاح الدين القيادة أزهرت وأعطت ثمارها

- بلغ الأيوبيون في عهد صلاح الدين ذروة قوتهم، إلا أن هذه الحبهة الإسلامية أخذت بالتداعي بعد وفاته، إذ لم تلبث أن نشبت حرب الوراثة بين أبناء البيت الأيوبي .

- لعبت عدة عوامل في التأثير على الحركة الفكرية والدفع بها نحو النشاط والازدهار، فقد كان لشخصية الحكام أثر كبير على ذلك، من حيث حبهم للعلم، وقصدهم للعلماء والحفاظ للإفادة منهم.

_ يعد الصراع المذهبي أحد أهم الأسباب التي رفعت نشاط الحركة العلمية، فالعبيديين أرادوا نشر مذهبهم بمصر عن طريق الدعوة وإقامة المراكز العلمية، ولأن صلاح الدين كان يطمح لتحقيق الوحدة الإسلامية تحت قيادة سنية واحدة فقد عرف كيف يتعامل مع المشكلة.

_ تشهد المصادر التاريخية على التوافد الكبير الذي شهدته مصر من طرف العلماء وطلبة العلم في تلك الفترة مما ساهم في تنشيط الحركة العلمية، والتي تعددت مناحيها وألوانها وشملت مختلف العلوم.

_ عرفت العلوم الدينية نشاطا وإقبالا كبيرا مقارنة بالعلوم الأخرى، فنشطت العلوم الدينية من قراءات وتفسير وفقه وحديث وبرز في كل علم أعلام مشهورة خلفت تراثا علميا.إضافة إلى العلوم اللغوية والاجتماعية التى عرفت هي الأخرى إقبالا من طرف طلاب العلم، وذلك لارتباط اللغة العربية بالدين الإسلامي .

_ ازدهرت الحركة الشعرية في هذه الفترة فما قيل من شعر في تلك الفترة لا تجمعه إلا الأسفار الكبيرة وذلك بسبب الحروب الصليبية،ووجود شخصيات بارزة في ذلك العصر، وتنوعت فنون الشعر وتعددت، وكان له دور في إبراز الحياة السائدة أنذاك، فكثير من عادات ذلك العصر منطبعة في الشعر، ولم يكن النثر أقل حظا من الشعر، فقد عرف عناية هو الآخر من طرف كتاب وأدباء ذلك العصر،

_ تنوعت الكتابة التاريخية وتصدرتها كتب التراجم، إضافة إلى كتب السير، وكان لكل صنف من الكتابات أعلام ساهمت في نشاط هذه الحركة وتدوين تاريخ تلك الفترة.

_ اتسمت هذه الفترة بقلة عدد الجغرافيين وكتب الرحالة على عكس المؤرخين الذين كانوا بكثرة.

_ عرفت مصر تداول بعض العلوم العقلية لكن بصفة أقل مقارنة بالعلوم السابقة الذكر، وذلك لأن الأيوبيين أولوا اهتماما للعلوم التي تعين على فهم الدين

_ كان الطب على رأس العلوم التي ازدهرت في أيام الأيوبيين، وأنشئت لذلك البيمارستانات وعرفت مصر أطباء مشهورين في تلك الفترة.

_ عرف علم الصيدلة هو الآخر تطورا ملحوظا، وذلك لارتباطه بعلم الطب، فكثيرا ما كان الطبيب يزاوج بين مهنتي الطب والصيدلة، وعرفت الصيدلة أيضا بأعلام مشهورين.

_ تعتبر المدارس أهم المؤسسات التعليمية بمصر في هذه الفترة، ونشأتها بمصر ارتبطت بصلاح الدين وإن كانت مصر قد عرفت المدارس السنية في أواخر أيام العبيديين، إلا أنها كانت قاصرة على الإسكندرية فقط.

_ بدأ صلاح الدين بإنشاء المدارس منذ فترة توليه الوزارة للعاضد، وتنوعت هذه المدارس حسب المذهب الذي تدرسه.ولم تكن قاصرة على الحكام فقط، بل شارك في ذلك حتى الأمراء والأغنياء.

_ اتسمت المدارس بالتنظيم الإداري، حيث كانت حجج الوقف التي حبست عليها بمثابة الدستور الخاص بالمدرسة، وكانت المدارس أشبه بالجامعات، كما تميز التعليم بالدقة ومراعاة قدرات الطلبـــــة ودليل ذلك تنوع طبقات المدرسين.

_ وفرت المدارس للطلبة الإقامة والرعاية الصحية وكافة سبل الراحة، كما خصصت لهم منح مالية تعينهم على قضاء حوائجهم.

_ لم تكن في مصر في هذه الفترة مدارس خاصة لتدريس الطب، بل كان يدرس في البيمارستانات حيث يتلقى الطالب الدرس ثم يطوف بين المرضى لمعاينة الأمراض وعلاجها.

_ تراجعت المهمة التعليمية للمساجد في هذه الفترة نظرا للتطور الذي شهدته المدارس وتأديتها للدور التعليمي بشكل كامل، لكن رغم هذا لم تخلو المساجد من حلقات العلم والذكر.

_ ارتبطت نشأة الخوانق في مصر بالصوفية، حيث شهدت مصر في هذه الفترة توافدا كبيرا للمتصوفة على مصر، ويعتبر صلاح الدين أول من أنشأ خانقاها للصوفية بمصر، وذلك بعد أن استقدم ثلاثمائة من أكابر الصوفية إلى مصر وأنزلهم بدار سعيد السعداء، والتي حولها إلى خانقاه.

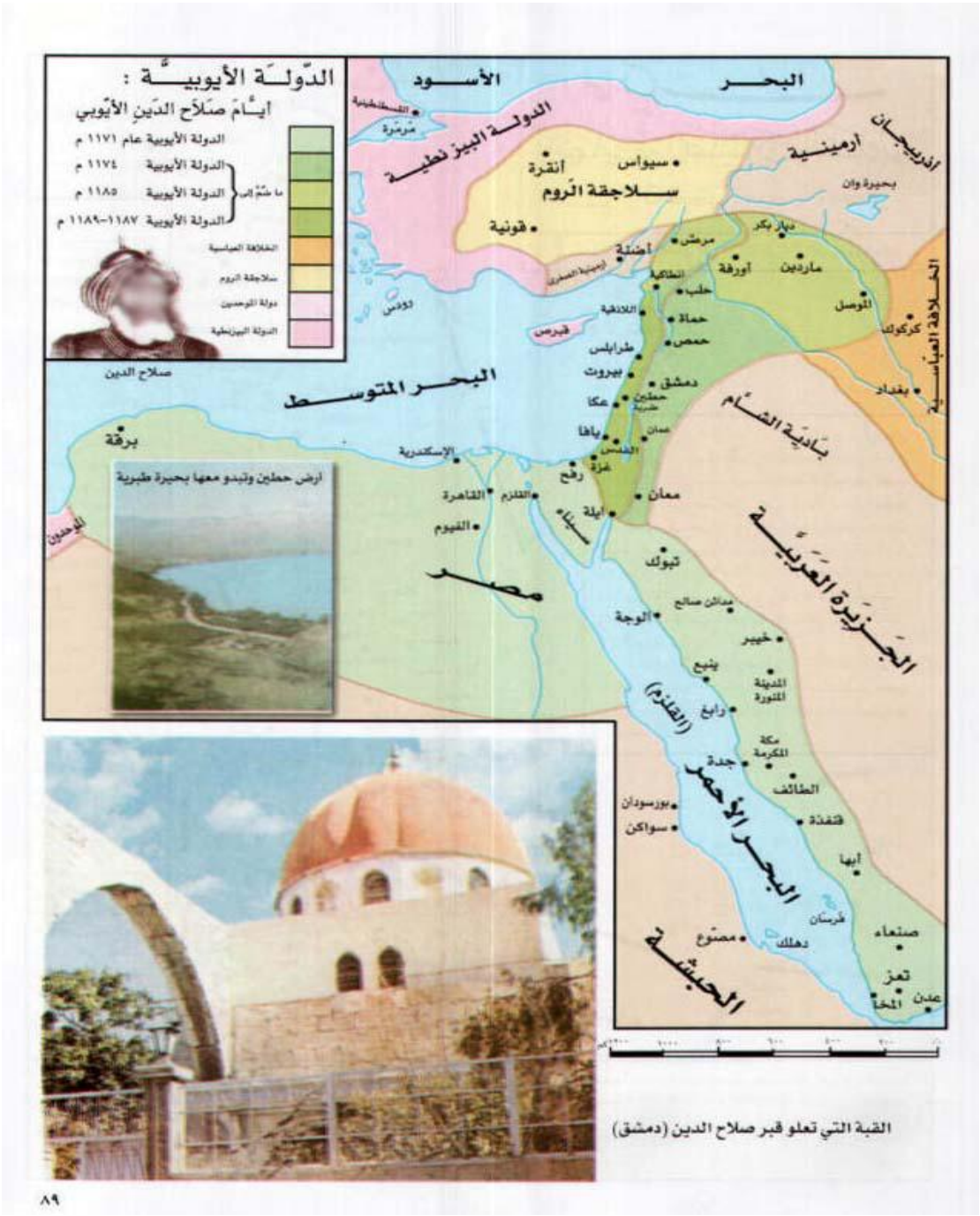
_ كان للخوانق مساهمة في الحركة التعليمية، ولو لم يكن بالشكل الكبير، فقد عرفت تدريس بعض العلوم الدينية، وبعض الدراسات التي لها علاقة بالتصوف.

_ يعتبر الوقف هو المحرك الأساسي للمؤسسات التعليمية والمنشط في تلك الفترة، إذ لم يغفل بناة المدارس بداية بصلاح الدين ثم الذين يلونه عن وقف الأوقاف على المؤسسات التعليمية، وذلك من أجل ضمان بقائها واستمرارها في أداء مهمتها ، وقد تعددت سبل الأوقاف بين أراضي وحوانيت

-وختاما لا يعتبر هذا العمل إلا مساهمة بسيطة ومتواضعة وغير كافية لتغطية كل جوانب موضوع الدراسة لأن هناك نقاط تحتاج إلى البحث المعمق، فنرجو أن تكون هناك عناية من طرف الباحثين لهذا الموضوع.

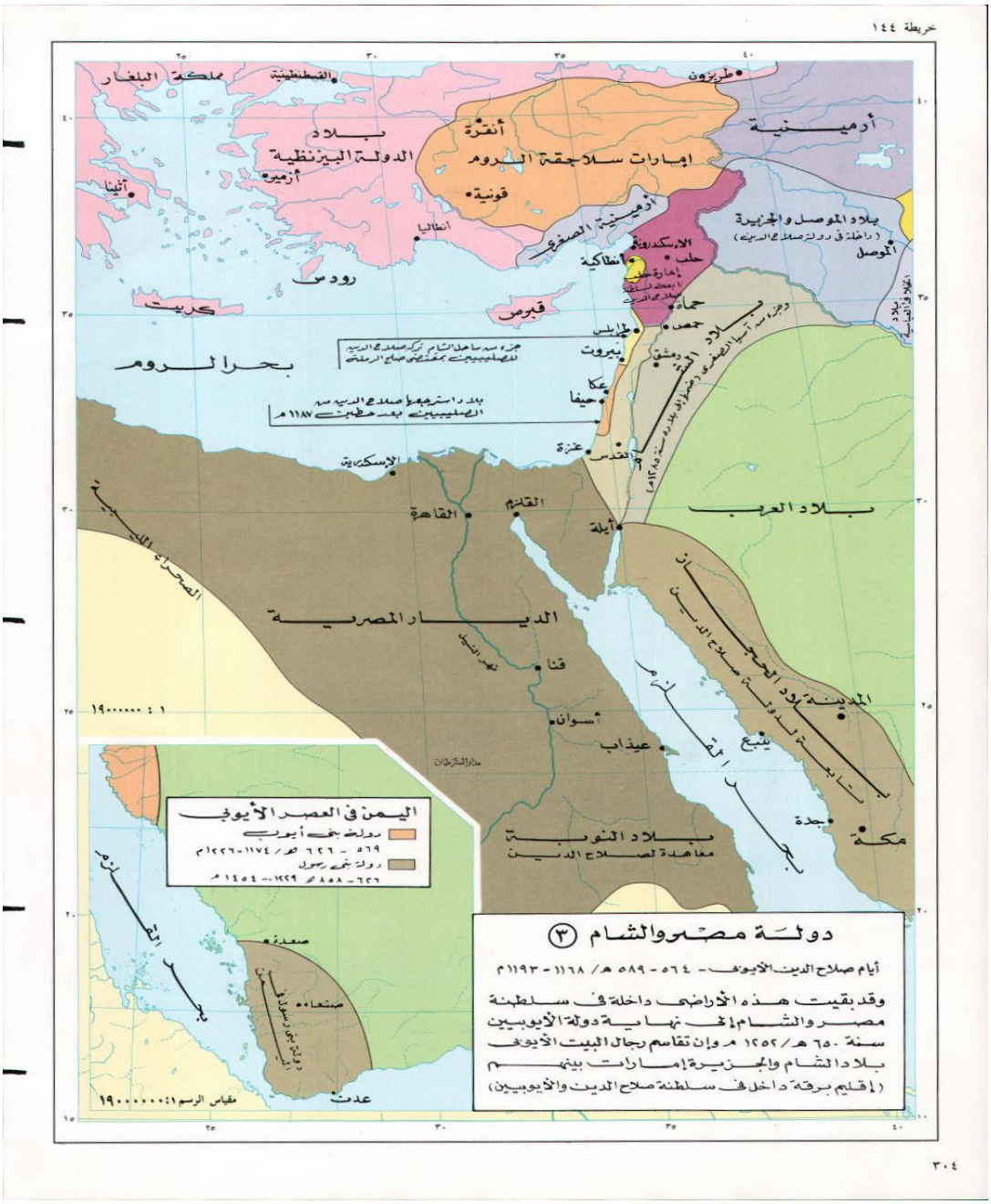
الملاحق

ملحق رقم 01: الدولة الأيوبية في عهد صلاح الدين[1]



[1]- شوقي أبو خليل، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ،ط12، دار الفكر ، دمشق ،1425هـ

ملحق رقم02: موقع مصر[1]



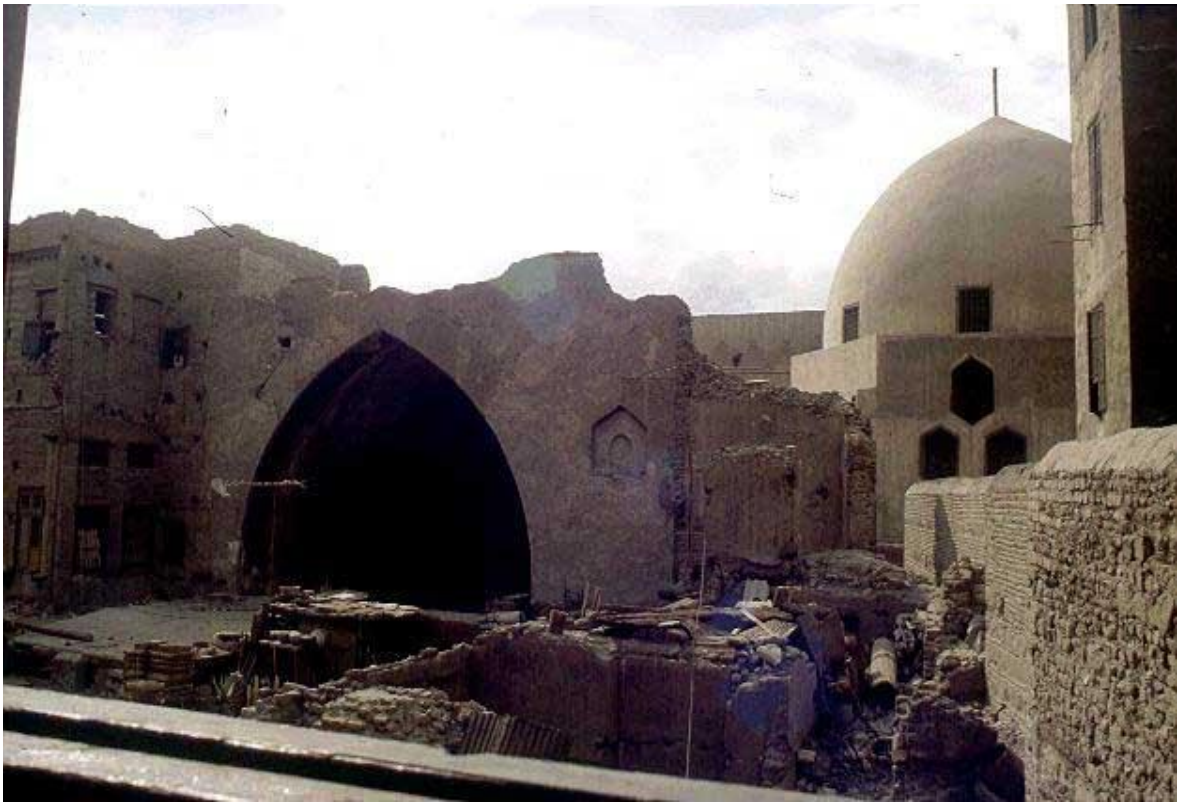
[1] – حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987، ص304.

ملحق رقم 03: المدرسة الكاملية[1]



[1]– درية عوني وآخرون، المرجع السابق، ص62.

ملحق رقم 04: المدرسة الصالحية[1]



[1]- درية عوني وآخرون، المرجع السابق، ص63.

ملحق رقم 05: خانقاه سعيد السعداء[1]



[1]- درية عوني وآخرون، المرجع السابق، ص65.

قائمة البيبليوغرافيا

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

أ- المصادر :

1- ابن أيبك الدواداري أبي بكر بن عبد الله ، **كنز الدرر وجامع الغرر(الدر المطلوب في أخبار بني أيوب)** ، تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور، الجزء 7، دون طبعة، دون دار النشر، القاهرة، 1973م.

2- ابن إياس محمد بن أحمد الحنفي، **بدائع الزهور في وقائع الدهور** ، تحقيق: محمد مصطفى، الجزء1، دون طبعة، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، دون تاريخ.

3- أسامة بن منقذ، **ديوان أسامة بن منقذ**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، الطبعة 2، عالم الكتب، بيروت، 1983م.

4- ابن أبي أصيبعة أبو العباس أحمد بن القاسم (ت668هـ)، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، تحقيق: نزار رضا، دون طبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ.

5- ابن الأثير أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (ت 630هـ)، **الكامل في التاريخ** ، مر: محمد يوسف الدقاق،المجلد 9، المجلد 10، طبعة 4، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003م .

6- البهوتي منصور بن يونس ، **كشف القناع على متن الإقناع** ، الجزء 2، دون طبعة ، مطبعة الحكومة، مكة، 1394هـ .

7- البخاري محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري(مع فتح الباري لابن حجر)**، تحقيق : محب الدين الخطيب، الطبعة2، دار الريان للتراث، القاهرة، 1409هـ .

8- البغدادي أبو منصور عبد القاهر بن طاهر (ت 429هـ)، **الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم (عقائد الفرق الإسلامية وآراء كبار أعلامها)** ، تحقيق، محمد عثمان الخشن، مكتبة ابن سينا، دون طبعة، القاهرة، دون تاريخ.

9- البغدادي عبد اللطيف ، **رحلة عبد اللطيف البغدادي في مصر(الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر)** ، أشرف على إعدادها: عبد الرحمان عبد الله الشيخ، طبعة2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دون بلد النشر، 1998م.

10- محمد بن أحمد بن جبير (ت 614هـ) ، **رحلة بن جبير** ، دون طبعة ، دار صادر ، بيروت ، دون تاريخ.

11- مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم، ترقيم: محمد فؤاد عبدالباقي، مطبعة دار إحياء الكتب العربية، دون بلد النشر، دون تاريخ.

12- ابن الجزري أبو الخير شمس الدين محمد بن محمد (ت833هـ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق: برجستراسر، الجزء2، الطبعة1، دار الكتب العلمية بيروت، 2006م.

13- ابن دقماق صارم الدين إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي (ت809هـ)، **الإنتصار لواسطة عقد الأمصار(في تاريخ مصر وجغرافيتها)**، دون طبعة ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، دون تاريخ

14- ابن دقماق صارم الدين إبراهيم بن محمد بن إيدمر العلائي (ت809هـ)، **نزهة الأنام في تاريخ الإسلام** ، تحقيق : سمير طبارة ، الطبعة1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 1999م .

15- الداوودي شمس الدين محمد بن علي (ت 945هـ)، **طبقات المفسرين** ، مراجعة: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، الجزء1،الجزء2، الطبعة1، دار الكتب العلمية بيروت، 1983م .

16- ابن واصل جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ)، **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق: جمال الدين الشيال، الجزء 1، الجزء2، دون طبعة، دون دار النشر، دون بلد النشر، دون تاريخ.

17- الزركشي محمد بن عبد الله المصري الحنبلي، **شرح الزركشي على مختصر الخرقي** ، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين، الجزء4، الطبعة1، دون دار النشر، دون بلد النشر،1410هـ .

18- الزبيدي المرتضى ، **ترويح القلوب في ذكر ملوك بني أيوب** ، تحقيق: صلاح الدين المنجد، طبعة2، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، 1983م.

19- اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد (ت 768هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في ما يعتبر من حوادث الزمان** ، وضع حواشيه خليل المنصور، الجزء 4، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

20- ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ابن عمر (ت 774هـ)، **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي و مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، الجزء 13، الجزء16،الجزء 17، طبعة1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، جيزة، 1998م.

21- ابن كثير عماد الدين أبي الفدا إسماعيل ابن عمر (ت 774هـ)، **طبقات الشافعية**، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الجزء2، الطبعة1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2004.

22- المنذري زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي (ت 656هـ) ، **التكملة لوفيات النقلة**، الجزء1، الجزء3 ،الطبعة 3 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1984م.

23- ابن منظور أبي الفضل جمال الدين بن مكرم الإفريقي المصري ، **لسان العرب**، المجلد 9، دون طبعة ، دار صادر، بيروت، دون تاريخ .

24- المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي(ت 845هـ)، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق: كرم حلمي فرحات، الطبعة 1، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية دون بلد النشر، 2007م.

25- المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي(ت 845هـ)، **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار(الخطط المقريزية)**، تحقيق: محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، الجزء 1، الجزء2، الجزء3، الجزء4، الطبعة1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م.

26 - المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي(ت 845هـ)، **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الجزء 1، الطبعة1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

27- النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ)، **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، تعلق: مفيد قميحة، الجزء29، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

28- السبكي أبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى** ، تحقيق: محمود محمد الطناحي،عبد الفتاح محمد الحلو، الجزء 7، الجزء8، مطبعة فيصل عيسى البابي الحلبي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة1، القاهرة، 1964.

28- السبكي أبي نصر تاج الدين عبد الوهاب بن علي (ت 771هـ)، **مُعيد النعم ومُبيد النقم** ، الطبعة1، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986م.

29-السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ)، **بغية الوعاة في تراجم اللغويين والنحاة** ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء 2، الطبعة 1، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1964م .

30- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ) ، **حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء1،الجزء 2، الطبعة1، دون دار النشر.دون بلد النشر، 1967م.

31- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، شرح وضبط: محمد أحمد جاد المولى بك وآخرون، الجزء1، دون طبعة، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، 1986م.

32- السيوطي جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر (ت 911هـ)، **تاريخ الخلفاء**، دار المنهاج للنشر والتوزيع، الطبعة 2، بيروت، 2013م .

33- عماد الدين الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ)، **البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان** ، تحقيق: محمد علي الطعاني، دون طبعة ، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن مكتبة المتنبي، السعودية، دون تاريخ.

34- عماد الدين الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ)، **الفتح القسي في الفتح القدسي**، دون طبعة، دار المنار، دون بلد النشر، دون تاريخ.

35- عماد الدين الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ)، **خريدة القصر وجريدة العصر(قسم شعراء مصر 1)**، نشره: أحمد أمين و شوقي ضيف و إحسان عباس، الجزء 14 ، طبعة جديدة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2005م.

36- ابن العماد شهاب الدين عبد الحي بن أحمد الدمشقي (ت 1089هـ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، المجلد5، المجلد6، المجلد7، دار ابن كثير، طبعة1، بيروت، 1986م.

37- الفاسي تقي الدين محمد بن أحمد (ت 832هـ)، **العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين** ، تحقيق: فؤاد سيد، الجزء2، الجزء5، الطبعة2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م .

38- ابن فرحون المالكي (ت799هـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب** ، تح: أبو النور محمد الأحمدي، الجزء2، دون طبعة، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، دون تاريخ.

39- – القلقشندي أبي العباس أحمد ، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، الجزء4، دون طبعة، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1914م.

40- القفطي أبو الحسن علي بن يوسف (ت646هـ)، **إنباه الرواة على أنباه النحاة**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الجزء2، الطبعة1، دار الفكر العربي، مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة، بيروت، 1986م .

41- القفطي أبو الحسن علي بن يوسف (ت 646هـ)، **إخبار العلماء بأخبار الحكماء** ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1426هـ.

42- ابن شداد بهاء الدين (ت 632هـ)، **سيرة صلاح الدين الأيوبي(النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية)**، دون طبعة، مطبعة الآداب والمؤيد، مصر، 1317هـ

43- أبو شامة شهاب الدين عبد الرحمان بن إسماعيل المقدسي، ت(665هـ)، **الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية** ، تعليق: إبراهيم شمس الدين، الجزء 1،الجزء 2، الطبعة 1 ،دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.

44- ابن تغري بردي جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي (ت 874هـ)، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تقديم و تعليق، محمد حسين شمس الدين، الجزء5، الجزء6، الجزء7، دار الكتب العلمية، الطبعة1، بيروت، 1992م.

45- ابن خلدون عبد الرحمان (ت 808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في ديوان العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر، مراجعة: سهيل زكار، الجزء 1، دون طبعة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001م.

46- خليفة حاجي ، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الجزء2، دون طبعة، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.

47- ابن خلكان أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق:إحسان عباس، المجلد3 المجلد6، المجلد7، دار صادر، دون طبعة، بيروت، دون تاريخ.

48 – الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ) ، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق وتعليق: شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، الجزء 14، الجزء 20، الجزء 21، الجزء 22، الطبعة 1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1985م.

49– الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ) ، **العبر في خبر من غبر** ، تحقيق: محمد السعيد زغلول، الجزء3، الطبعة1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1985م.

50– الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد (ت 748هـ) : **تاريخ الإسلام**، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الجزء39، الطبعة1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1996م.

ب– قائمة المراجع :

1– الأمين حسن ، **صلاح الدين الأيوبي بين العباسيين والفاطميين والصليبيين** ، الطبعة1، دار الجديد، بيروت، 1995م .

2– بدوي أحمد أحمد ، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام** ،الطبعة2 ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، دون تاريخ.

3– بدوي أحمد أحمد، **صلاح الدين الأيوبي بين شعراء عصره**، دون طبعة، دار القلم، القاهرة، 1960م.

4– حبش محمد ، **المسلمون وعلوم الحضارة**، الطبعة1، دار المعرفة، دمشق، 1992م .

5– الحويري محمود ، **مصر في العصور الوسطى(دراسة في الأوضاع السياسية والحضارية)**، الطبعة1، عين للدراسات والبحوث الإجتماعية والإنسانية، دون بلد النشر، 1996م.

6– حمزة عبد اللطيف، **الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول** ، الطبعة1، دار الفكر العربي، دون بلد النشر، دون تاريخ النشر.

7– حمزة عبد اللطيف، **الأدب المصري من قيام الدولة الأيوبية إلى مجيئ الحملة الفرنسية** ، تقديم عبد العزيز شرف ، دون طبعة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، دون بلد النشر، 2000م .

8– حسن حسن إبراهيم، **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي**، الجزء4، الطبعة14، دار الجيل، بيروت، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1996م .

9– الطائي فاضل أحمد ، **علم الكيمياء والصيدلة عند العرب** ، الطبعة 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دون بلد النشر، 1987م.

10- طقوش محمد سهيل ، **تاريخ الأيوبيين في مصر وبلاد الشام وإقليم الجزيرة** ، الطبعة2، دار النفائس، بيروت، 2008م .

11- الكيلاني ماجد عرسان ، **هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس** ،الطبعة3 ،دار القلم للنشر والتوزيع ، الإمارات العربية المتحدة ،2002 م .

12- ليبول ستانلي ، **سيرة القاهرة**، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، الطبعة 2، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، دون تاريخ

13- النجار أحمد ، **الإنتاج الأدبي في مدينة الإسكندرية في العصرين الفاطمي والأيوبي** ، دون طبعة، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الإجتماعية، القاهرة ،1964م .

14- السرجاني راغب ، **قصة العلوم الطبية في الحضارة الاسلامية** ، الطبعة1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م .

15- السرجاني راغب ، **قصة العلوم الطبية في الحضارة الاسلامية** ، الطبعة1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م .

16- عبده قاسم قاسم ، السيد علي علي ، **الأيوبيون والمماليك(التاريخ السياسي والعسكري)**، دون طبعة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية دون بلد النشر، دون تاريخ النشر .

17- العبادي أحمد مختار ، **في تاريخ الأيوبيين والمماليك** ، دون طبعة ،دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1995م .

18- عبد المنعم صبحي، **العلاقات بين مصر والحجاز زمن الفاطميين والايوبيين** ، دون طبعة ، العربي للنشر والتوزيع ، القاهرة، دون تاريخ.

19- عبد المنعم صبحي، **تاريخ مصر السياسي والحضاري من الفتح الإسلامي حتى عهد الأيوبيين(31هـ/648هـ)**، دون طبعة، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، دون تاريخ .

20- عبد الرزاق أحمد أحمد ، **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى (العلوم العقلية)**، الطبعة1، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991م .

21- عوني درية وآخرون، **الأكراد في مصر عبر العصور**، الطبعة1، دون تاريخ، القاهرة، 2011

22- عطا أحمد محمد ، **ديوان الموشحات الفاطمية والأيوبية(447/648هـ)**، دون طبعة ، مكتبة الآداب، القاهرة، 2001م .

23- عكاوي رحاب خضر ، **الموجز في تاريخ الطب عند العرب** ، دون طبعة، دار المناهل، بيروت، 2000م .

24- عاشور سعيد عبد الفتاح، **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام** ، دون طبعة، دار النهضة العربية، القاهرة، 1996م .

25- عاشور سعيد عبد الفتاح، **مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك** ، دون طبعة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ، بيروت، 1972م .

26- الصلابي علي محمد ، **الدولة الفاطمية**، الطبعة1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006م .

27- القنوجي صديق بن حسن (ت/ 1307هـ)، **أبجد العلوم(السحاب المركوم الممطر بأنواع الفنون وأصناف العلوم)**، الجزء2، دون طبعة، دار الكتب العلمية بيروت، دون تاريخ .

28- قنواتي شحاتة ، **تاريخ الصيدلة والعقاقير في العهد القديم والعصر الوسيط**، الطبعة2، طبعة أوراق شرقية، بيروت، 1996م .

29- الشامي أحمد ، صلاح الدين والصليبيون (تاريخ الدولة الأيوبية)، الطبعة1، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، 1991م .

30- شاندور البير ، **صلاح الدين الأيوبي البطل الأنقى في الإسلام** ، ترجمة: سعيد أبو الحسن، تحقيق: نديم مرعشلي، تقديم: مصطفى طلاس، الطبعة 2، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، 1993م .

31- ضيف شوقي ، **تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والإمارات مصر)**، الجزء7، الطبعة2، دار المعارف، القاهرة، دون تاريخ .

ج/الرسائل الجامعية:

1- أبو شارب حازم فارس علي ، **فن السيرة في الأدب الأيوبي (كتاب الاعتبار أنموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تخصص اللغة العربية وآدابها، إشراف سعود محمود عبد الجابر، كلية الآداب والعلوم، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الشرق الأوسط، 2011/2010م .

2- دولت عبد الكريم، **الخوانق في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي** ، أطروحة دكتوراه في علم الآثار، إشراف سعاد ماهر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1973م.

3- الحريري سلطان عبد الرؤوف ، **أدب الرسائل في العصر الأيوبي (القاضي الفاضل أنموذجا)**، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، إشراف علي أبو زيد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة دمشق، دون تاريخ

4- سلام أيمن شاهين ، **المدارس الإسلامية في مصر في العصر الأيوبي ودورها في نشر المذهب السني**، أطروحة لنيل دكتوراه الفلسفة في الآداب شعبة التاريخ الإسلامي، إشراف الدكتور أحمد عبد الحميد خفاجي، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1999م .

5- عبد الله باقاسي عائشة ، **بلاد الحجاز في العصر الأيوبي (567-648هـ)**، أطروحة لنيل درجة الماجستر في التاريخ الإسلامي،إشراف محمد حسنين ربيع، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة الملك عبد العزيز، 1980م .

6- خليل أحمد علي رشا ، **الحياة الاجتماعية في مصر خلال العصر الأيوبي(567هـ-648هـ/1171م-1250م)**، رسالة ماجستير، إشراف محمد خريسات، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 2010م .

د/المعاجم والأطالس :

1- مصطفى إبراهيم وآخرون، **المعجم الوسيط**، الجزء2، دون طبعة ، دار الدعوة، القاهرة، د ون تاريخ.

2- مؤنس حسين ، أطلس تاريخ الإسلام، الطبعة1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1987م

3- أبو خليل شوقي ، أطلس التاريخ العربي الإسلامي ،الطبعة12، دار الفكر ، دمشق ،1425هـ

هـ/ المجلات :

1- الدهشان جمال علي ، **الخدمات الطلابية في مصر زمن الأيوبيين المماليك** ، مجلة دراسات تربوية واجتماعية، العدد الثاني ، كلية التربية، جامعة حلوان، 1995م .

و/الموسوعات :

1- كاشف سيدة إسماعيل وآخرون، **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور (تاريخ مصر الإسلامية)**، أعدها للنشر عبد العظيم رمضان، دون طبعة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1993م.

فهرس الموضوعات

مقدمة.....**2**

مدخل نبذة تاريخية عن الدولة الأيوبية.....**7**

1- نشأة الدولة الأيوبية.....8

2- الأوضاع السياسية للدولة الأيوبية.....15

3- الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.....19

المبحث الأول: العوامل المؤثرة على ظهور الحركة الفكرية والعلمية.....25

المطلب الأول: شخصية الحكام.....26

المطلب الثاني: الصراع المذهبي.....34

المطلب الثالث: الرحلات العلمية.....40

المبحث الثاني: ملامح الحركة العلمية.....45

المطلب الأول: العلوم الدينية 46

أ/ علم القراءات.....46

ب/ التفسير.....48

ج/ الحديث.....49

د/ الفقه.....51

1- المذهب الشافعي.....51

2- المذهب المالكي.....53

3- المذهب الحنفي.....53

4- المذهب الحنبلي.....53

هـ/ علم الكلام.....54

المطلب الثاني: العلوم اللغوية والاجتماعية.....55

أ/ علوم اللغة العربية وآدابها.....55

1/ علم اللغة والنحو.....55

2/ البلاغة.....57

3/ الأدب.....58

أقسام الأدب.....58

1- الشعر.....58

شعر المناسبات.....58

الشعر الشخصي.....58

مذهب البديع.....58

مذهب المعاني.....59

المدح.....59

الرثاء.....60

الوصف.....60

السخرية والاستهزاء.....60

الغزل.....61

2- النثر.....62

أ/ الرسائل السلطانية.....62

ب/ الرسائل الإخوانية.....63

ج/ الخطابة.....63

د/ الأدب التاريخي.....63

ب/ العلوم الإجتماعية.....64

التاريخ.....64

أ/ كتب التراجم.....64

ب/ الرحلات الجغرافية.....66

المطلب الثالث: العلوم التجريبية.....67

1- علم الطب.....67

2- علم الصيدلة.....71

المبحث الثالث: المؤسسات التعليمية ودور الوقف في نجاح مهمتها.....75

المطلب الأول: المدارس والمساجد.....76

أ/ المدارس.....76

1- نشأة المدارس في مصر.....77

أ/ المدرسة الناصرية..... 80

ب/ المدرسة القمحية.....80

ج/ المدرسة السيوفية.....81

د/ المدرسة الفاضلية.....81

ه/ المدرسة الصالحية.....81

2- الطابع العمراني للمدرسة.....82

3- التنظيم الإداري للمدارس.....82

أ/ الصدر.....83

ب/ المدرسون.....83

ج/ المعيدون.....83

4- البيمارستانات.....84

ب/ المساجد.....86

1- الجامع الأزهر.....86

2- جامع الحاكم.....87

3- جامع ابن طولون.....87

4- جامع عمرو بن العاص.....87

المطلب الثاني: الخوانق والرباطات.....89

1- الخوانق.....89

2- الرباطات.....89

3- نشأة الخوانق في مصر.....90

4- شيخ الخانقاه.....91

5- الحياة داخل الخانقاه.....91

المطلب الثالث: الوقف ودوره في نجاح المؤسسات التعليمية.....93

1- تعريف الوقف.....93

2- دور الوقف في نجاح المؤسسات التعليمية.....93

خاتمة.....**97**

الملاحق.....101

البيبليوغرافيا.....107

تمت بحمد الله